العدد الأول صدر في فبراير / ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة
الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية علمية محكمة تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم -الجمهورية اليمنية-

العدد الثاني - يونيو - 2004م

رئيس التحرير
د. عبد الحق القاضي
مدير التحرير
أ. حسن محمد جابر
نائب مدير التحرير
د. حفصة أحمد منشي
سكرتير التحرير
أ. محمد محمد العديل

الهيئة الاستشارية :

أ . د . حسن محمد مقبولي الأهدل
أ . د . محمد سنان الجلال .
أ . د . عبد الكريم زيدان.
أ . د . عبد الوهاب لطف الديلمي .
أ . د . علي غالب المخلافي
أ . د . علي أحمد القليصي .
أ . د . محمد يوسف الربيدي.
أ . د . محمد حاتم المخلافي .
أ . د . إبراهيم إبراهيم القريبي

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير عل العنوان التالي :
مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم - الجمهورية اليمنية – صنعاء
ص.ب (11229) هاتف (4 - 216865) فاكس (216869)

الطباعة والإخراج الفني : محمد عبدالخالق القضاضي

آيات الأحكام في العبادات وأثر العوام اللغوية في تفسيرها

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – أم درمان –

لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

الباحث / سعيد عمر عبود بن دحباج

بسم الله الرحمن الرحيم
أن هذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن
لهم أجراً كبيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

THE HOLY QURAN HIGH COLLEGE MAGAZINE

Annual, scientific, And Precise, Issued By The Holy Quran High College – Republic Of Yemen

Chief Of Editing
Dr. Abdulhaq AL-Qadhi

Director Of Editing
Mr. Hassan Jaber

Deputy Director Of Editing
Dr. Hafsa Manshi

Secretary Of Editing
Mr. Mohammed AL-Adeel

Consultation Body

Prof. Dr. Hassan Mohamed AL-Ahdel.
Prof. Dr. Mohamed Sinan AL-Jalal.
Prof. Dr. Abdulkareem Zaydan .
Prof. Dr. Abdulwahab Lutfi AL-Daylami
Prof. Dr. Ali Ghaleb AL-Mikhlafi
Prof. Dr. Ali Ahmed AL-Qulaysi.
Prof. Dr. Mohamed Yousef AL-Rubaydi
Prof. Dr. Mohamed Hatam AL-Mikhlafi
Prof. Dr. Ibraheem Ibraheem AL-Quraybi

All Correspondencas To be Titled To Director Of Editing On The Following Address:
The Holy Quran High College Magazine – Republic Of Yemen – Sana'a
p . o . Box (11229) Tel (216865 – 4) Fax. (216869)

Printing And Artistic Direction : Mohamed Abdulkhaeq AL-Qadadi

معايير النشر وضوابطه

تعني المجلة بنشر البحوث الأصيلة والمبتكرة في مجالات العلوم القرآنية وفاء بمقتضيات الرسالة العلمية للكلية العليا للقرآن الكـــريم وذلك وفقاً للضوابط والمعايير التالية :

1) أن يتسم البحث بالأصالة ، مع وجوب مراعاة الموضوعية فـــي العرض والتناول، والدقة والوضـــوح فـــي اللغـــة والأســـلوب، واستيفاء التوثيق المنهجي للنصوص والمقتبسات بذكر المصادر والمراجع، وتحديد أرقام الآيات وتخريج الأحاديث .
2) ألا يزيد عدد صفحات البحث على الثلاثين صـــفحة نوعيـــة A4 بواقع (300) كلمة للصفة الواحدة ، وألا يقل عن الخمس عشر صفحة .
3) ألا يكون البحث منشوراً من قبل، أو مقبولاً للنشر بجهة أخرى .
4) أن ترسل النسخة الأصلية المطبوعة من البحث مع صورتين منها للمجلة، مع مراعاة الضبط الكامل والمراجعة الدقيقة .
5) تخضع البحوث المقدمة للنشر للفحص والتقويم من قبل محكمين أو أكثر من الأساتذة المتخصصين ذوي الخبرة في المجال ذاته.

الآراء والأفكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وفكر الكلية

محتوى العدد

الموضوع	الباحث	الصفحة
الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال	د. احمد قطران	1
الشاهد الشعري في تفسير أبي السعود	د. عبد الحق القاضي	39
دستور القضاء – رسالة عمر ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما–	د. صالح الظبياني	79
تعريف بالرسائل		
منهج حماية العقيدة الإسلامية	التحرير	113
التصوير الفني في سورة طه	التحرير	123
آيات الأحكام في العبادات	التحرير	133

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أما بعد :

فهذا هو العدد الثاني من مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم، وقد حفل بأبحاث قيمة نأمل أن تشبع نهم المهتمين بالدراسات القرآنية بصورة خاصة والدراسات الإسلامية بصورة عامة، ويهمنا في هذا المقام أن نهيب بالأخوة الباحثين والمبدعين في مجال الدراسات القرآنية وما يتصل بها من أبحاث في علوم الشريعة واللغة العربية بجميع فنونها فيما يساعد على فهم كتاب الله العزيز .

كما تضمن العدد تعريفاً ببعض الدراسات التي حصل أصحابها على درجة دكتور، أو ماجستير ، وإحدى هذه الدراسات مقدمة من أحد الشباب الذين تخرجوا من الكلية العليا للقرآن الكريم وهو ما يبشر بمستقبل علمي زاهر لمخرجات الكلية ويحفز آخرين من المتخرجين باللحاق بركب الباحثين والعلماء.

يعتقد البعض بأن البحث العلمي مقصور على أعضاء هيئات التدريس الجامعية ليترقوا بها إلى درجة الأستاذية ثم يتوقفون بعد ذلك؛ وفي الحقيقة أن مجتمع البحث العلمي في حاجة ماسة إلى عطاء هؤلاء العلماء ونضجهم وكفايتهم العلمية .

إن هؤلاء العلماء الذين بلغوا سن الرشد العلمي كتابتهم لها مذاق خاص والشباب الباحثون في حاجة للتلمذة على أيديهم من خلال عطائهم المتواصل ونأمل ألا تحرم المجلة من أبحاثهم ونقاشاتهم ، وللجميع نحن منتظرون .

والمجلة ترحب بأي تعقيبات أو مراجعات على ما ينشر بها من أبحاث بشرط الالتزام بالمنهجية العلمية والنقد الموضوعي البناء .

والله الموفق والمعين

رئيس التحرير

الحرب النفسية

في ضوء سورة الأنفال

الدكتور / أحمد بن صالح قطران
الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية
جامعة صنعاء

الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال

د/احمد صالح قطران
كلية التربية – جامعة صنعاء

المقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه خلق الإنسان وعلمه البيان يعلم ما تخفي الصدور القائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠)الشمس، وأصلي وأسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين القائل(نصرت بالرعب)[١].

وبعد:

فالحرب النفسية ذات أثر فعال في حسم المعارك لصالح المتمكن من إدارتها بشكل متقن ، وكانت العمود الفقري في مسيرة الجهاد الإسلامي من بداية ظهور الدعوة الإسلامية، وقد استخدمها الإسلام ضد خصومه استخداما رائعا بلغ بها الذروة من حيث الأخلاق العالية التي صاحبت استخدامها ،وكان لها أبلغ الأثر في بث الرعب في نفوس خصوم الإسلام في كل عصر من عصوره إلى يومنا هذا، والقرآن الكريم وهو المنبع الصافي للأحكام الشرعية في كل المجالات زخرت آياته بكثير من الصور التي أثرت على خصوم الإسلام نفسيا بمجرد سماعهم لها .

واليوم وأمتنا تعيش مرحلة من أحلك مراحلها الاقتصادية والعسكرية والسياسية _حيث أضحى دم المسلم أرخص الدماء وماله أرخص الأموال وأصبح الخصوم

(١)- رواه البخاري ٣/١٠٨٧ رقم ٢٨١٥، ومسلم ١/٣٧٢ رقم ٥٢٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يتلذذون في إيذاء المسلمين وتوجيه الضربة تلو الضربة في كل مكان من العالم حيث هُزم المسلمون من داخلهم، واستطاع عدوهم أن ينال منهم نيلا.

لذلك نحن بحاجة ماسة إلى العودة إلى المنبع الصافي لمعرفة كيف أدار الإسلام معركته مع الخصوم، وسورة الأنفال_ وهى التقرير الميداني لمعركة بدر الكبرى_ ترسم منهجا واضحا للحرب النفسية، يجتهد الباحث في استجلاء بعض معالمه، وقد قسمه إلى قسمين خصص أحدهما لمفهوم الحرب النفسية ودورها، والثاني لصور الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال راجيا من المولى سبحانه أن يوفق أمتنا إلى كل خير، وأن يأخذ بأيدي أبنائها إلى مواطن العزة والكرامة والله أكبر والعزة لله ولرسوله والمؤمنين.

أولا : مفهوم الحرب النفسية ودورها.

أ- مفهوم الحرب النفسية .

تعرف الحرب النفسية بـ(الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي إليها من الإجراءات الموجهة على الدولة المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة (المواجهة) أهدافها)[1]

(١)-محفوظ - محي الدين علي - مدخل إلى العقيدة والاستراتيجية - الناشر: دار الاعتصام القاهرة ط/٢ ص ١٤٧.

وقيل هي: (الاستخدام المدبر لفعاليات معينة معدة للتأثير على أراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب أو الطوارئ، ويستهدف منها إضعاف معنوياتهم، وتغيير منهج تفكيرهم بشكل يحقق مصالح العدو في القضايا التي يجري الصراع من أجلها، وهي تشمل بمعناها الواسع استخدام علم النفس لخدمة الحرب بأساليب الدعاية، الإشاعة، المقاطعة الاقتصادية، المناورة السياسية مع ما يكملها من الأعمال العسكرية الرادعة)[١]، وقيل: (استخدام مخطط – من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو في وقت السلام – لإجراءات إعلامية، بقصد التأثير في أراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة)، وقيل هي: (إجراءات تهدف إلى شل إرادة الخصم وتحطيم رغبته في القتال بإيصاله إلى وضع لا يرى فيه أي أمل للنصر)، وقيل أيضاً :(هي استخدام أية وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أية جماعة لغرض عسكري معين).[٢]

(١)-الزبيدي- كامل -علم النفس في الميزان العسكري، الناشر: الدار العربية للموسوعات ط/١ ١٩٨٨م ٧.

(٢)-د. أحمد نوفل- الحرب النفسية – الناشر: دار الفرقان عمان، الأردن ط/٣ ١٩٨٧م ٣٤،٣٥/١.

ومما سبق يستنتج الباحث:

أن الحرب النفسية هي: الأعمال الفكرية والثقافية التي تستهدف الروح المعنوية للخصم لإضعافها وتغيير وجهة العواطف إلى عكسها حتى لا يقوى الجيش وأنصاره على المواجهة فتكون النتيجة تحقق الأهداف المطلوبة من خلال هذه الوسيلة الفعالة، ويختلف هدف الحرب النفسية باختلاف المخاطب بها.

(فمع الدولة المعادية: يكون الهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدولة وجيوشها لتحطيم روحها المعنوية وإرادتها القتالية وتوجيهها نحو الهزيمة، ومع الدولة المحايدة: يكون الهدف التأثير على عواطف، وأفكار وسلوك شعوب هذه الدولة لتوجيهها نحو الانحياز للدولة المواجهة، أو التعاطف مع قضيتها، أو على الأقل البقاء في وضع الحياد ، ومنعها من الانحياز إلى الجانب الآخر، ومع الدولة الصديقة: التأثير على عواطف وأفكار وسلوك هذه الشعوب لتوجيهها نحو تدعيم أواصر الصداقة مع الدولة المواجهة ، ونحو المزيد من التعاون لتحقيق أهدافها)[١].

ب- دور ومهام الحرب النفسية.

الحرب النفسية سلاح فعال في المعارك، وهي أقوى تأثيرا من الحرب المادية ، وتنبع أهميتها_ من كونها أمضى سلاحاً_ تعلقها بما في النفس الإنسانية من ثبات وطمأنينة ووهن... الخ ،فالمعنويات المنهارة لا تستطيع الثبات وإن امتلكت أحدث الأسلحة، أو كانت أكثر عددا وعدة ممن يواجهها...لذلك فهي أهم وسيلة تدعم وسائل الحرب

(١) الزبيدي مصدر سابق ٧.

الأخرى في استجلاب النجاح والنصر في المعارك؛ لأنها توفر الكثير من الخسائر في الرجال والعتاد والأموال؛ لأن السيطرة على النفس تعني السيطرة على المعركة ، ويؤيد هذا ما قاله قادة عسكريون في العصر الحديث.

يقول تشرشل[١]: (كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ)، ويقول ديغول[٢] (لكي تنتصر دولة ما في حرب فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى أرض المعركة، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوة حتى تنتهي من مهمتها) ويقول رومل[٣] (إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم) ويضيف الدكتور حامد زهران (وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول

(١)- ونستون تشرشل: أحد القادة البريطانيين، ولد عام ١٨٧٤م في مقاطعة مالبورو البريطانية، وكان من القادة المؤثرين في الحرب العالمية الثانية، تولى رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع عام ١٩٤٠م وسقط حزبه بعد ذلك بسنة ثم عاد لرئاسة الوزراء عام ١٩٥١ واستقال من منصبه عام ١٩٥٥م ،كان سياسيا وأديبا. توفى١٩٦٥م.ينظر: المنجد في اللغة والأعلام ١٧٤.

(٢)- شارل ديغول : جنرال فرنسي ورجل دولة دعا إلى مقاومة الألمان ، ترأس الحكومة من عام ١٩٤٤ حتى ١٩٤٦م ورئيس الجمهورية الخامسة من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٩م، قدم استقالته واعتزل العمل السياسي عندما هزم مشروعه في تعديل الدستور الفرنسي عام ١٩٦٩م وتفرغ لكتابة مذكراته توفي عام ١٩٧٠م، ينظر:المصدر نفسه ٢٥٤.

(٣)- أرفين رومل : مارشال ألماني قاد الحملة الألمانية على أفريقيا، وفشل في معركة العلمين التي دارت أحداثها في صحراء أفريقيا بين الألمان والإنجليز، شك هاتلر في إخلاصه فأمره بالانتحار عام ١٩٤٤م. ينظر: المصدر نفسه ٢٧١،

في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفعال في قتل إرادة ومعنويات الخصم... والحرب النفسية من أهم موضوعات الساعة وهي أخطر أنواع الحروب)[١]

وتحقق الحرب النفسية هدفها في تحطيم روح العدو المعنوية وإرادته القتالية من خلال المهام التالية:

١- تشكيك العدو في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من أجله.

٢- زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقادة، وزعزعة ثقته في إمكانية إحراز النصر ، وإقناعه بأن لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال.

٣- بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته.

٤- التفريق بين العدو وحلفائه، ودفعهم إلى التخلي عن نصرته.

٥- تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها)[٢] .

ومن خلال ما سنعرضه من صور الحرب النفسية في سورة الأنفال كما تصورها الآيات(١٢-١٥-١٨-١٩-٣٦-٣٨-٤٣-٤٤-٥٧-٥٩-٦٠-٦٧) من السورة[٣] ندرك مدى تحقق هذه المهام ،وكيف وضعت السورة منهجاً عظيماً في الحرب النفسية أصبح نبراساً يسير على هديه المسلمون في حروبهم، حتى خرجت بعلم

(١)- د نوفل. احمد- مصدر سابق ١/ ٢٩-٣٠.

(٢)- محفوظ - محي الدين علي، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٣)- موزعة على الفقرات كما سيرى القارئ.

من أهم العلوم العسكرية ذات التأثير في حسم المعارك،وهو علم النفس العسكري أو الحربي، فإذا أضيف لها بعض المفاهيم التي وردت في سور أخرى[1] ،سنجد علماً متكاملاً يدرس ،ويجلي تفاصيل النفس الإنسانية وما يؤثر عليها سلباً أو إيجاباً.

ج- الحرب النفسية وصدر الإسلام

مدخل:

عرف الإسلام هذا السلاح الفتاك من أول أيام ظهوره، فمن يقرأ السورالمكية يجد أن القرآن كان يسير باتجاهين.

الأول: الاتجاه الداخلي: وهو بناء العقيدة والتربية الروحية، والتأكيد على رفع المعنويات، حتى وصل بالصف الإسلامي إلى أعلى مراتب الثبات المعنوي.

والثاني: الاتجاه الخارجي: وهو تحطيم معنوية الخصم، إذ اتجه القرآن إلى تسفيه أحلام المشركين، والهجوم على معتقداتهم حتى أوصلهم إلى مرحلة الشك بل أوصل بعضهم إلى اليقين ببطلان تلك المعتقدات، ومن ثم أضعف معنوياتهم في الدفاع عنها، وإلى جانب ما كان يشنه من الهجوم المباشر على تلك المعتقدات كان يضرب الأمثلة المتتالية التي كانت تذكّر بمصير من يحملون معتقدات متشابهة لمعتقداتهم.[2]

---

(3)- صور الحرب النفسية مبثوثة في سور عدة في القران، كسورة البقرة، وسورة التوبة وسورة الفتح، وسورة محمد، وسورة المنافقين، وغيرها، واستقصاؤها يحتاج إلى بحث آخر وهو ما نعد به إن أنشأ الله في العمر.

(1) - فكان يذكر القصص التي تشير إلى هلاك الأمم الذين كذبوا بالرسل كقوم نوح، قال

ولما أنتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ونزل الإذن بالقتال في قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج/39)، استخدم الحرب النفسية أسلوبا ثابتا ودائما (كاستراتيجية) في كل المعارك، وكان القرآن ينزل ليضيف أو يعدل أو يؤيد ذلك الأسلوب (الاستراتيجية) المستخدم.

وفي المدينة المنورة تنوع الخصوم. ففي حين كانت قريش في مكة هي الخصم الوحيد أصبح الخصوم في المدينة ثلاثة أصناف:(مشركوا العرب بمن فيهم قريش، اليهود، المنافقون).

1) قريش ومن والاهم من مشركي العرب:

تعد قريش الخصم الأول الذي اصطدمت به الدعوة الإسلامية في أول أيام نزولها،وهذا الخصم كما قلنا شن عليه القران حرباً نفسية أوصلته إلى حالة الصفر فيما

تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح/25)، وقوم عاد، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود/60).

وغيرهما من الأمم .

يتعلق بالمعتقدات، فكل المعارك التي خاضتها قريش مع المسلمين ليست دفاعاً عن المعتقدات، بل إن المعتقدات كانت ثانوية[١].

فمعركة (بدر) مثلاً: كان دافع قريش اقتصاديا بحتا، وهو الدفاع عن القافلة أو حماية طرق التجارة[٢]، ومعلوم أن هذا الدافع كان تأثيره على الخاصة من قريش_ وهم من يملك المال_ فمعنويات هذا الفريق تنطلق من كونه يدافع عن ماله، بينما من لا مال له لا معنوية لديه فلماذا يقاتل ؟ .

لذلك كان جلُ قتلى المعركة من المشركين من علية القوم من الناحية الاقتصادية والسياسية.

---

(١)- والقرآن الكريم وصف أفعالهم تلك بالصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء/٧٦) . وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال/٣٦)وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال/٤٧)،وهو كذلك ، غير أننا نعني الأسباب المباشرة القريبة للمعارك ،والتي- -كانت مدار تعبئتهم المعنوية للجيش.

(٢)-ينظر: المبارك فوري -الشيخ صفي الدين- الرحيق المختوم- الناشر: دار القلم بيروت ط/١ عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ومعركة (أحد) كان الهدف هو الثأر لقتلى (بدر)، وهذا يتعلق بجانب العصبية والخوف من العار ، وهو أمر لا علاقة له بالمعتقدات إطلاقاً، وكان قادة المشركين عند التعبئة المعنوية يركزون على الثأر لأولئك القتلى ،ويركزون إلى جانب ذلك علىالمهدد الاقتصادي (قطع طرق التجارة)، بينما المعتقدات والدفاع عنها كانت بالمرتبة الثانية، ولما ظهر جيش المشركين في (أحد) على المسلمين بدت مسألة المعتقدات فقال قائلهم (أعل هبل)[١] في حين الحال على العكس لدى المسلمين حيث المعنويات المتجددة ، والتي تجعل المعتقدات أولاً ،وما سواها تابعاً لها، وظلت التعبئة المعنوية للمسلمين تنطلق من العقيدة لا غير[٢].

٢) اليهود:

اليهود هم الخصم(الفكري والعقدي) للرسول -ﷺ- والمسلمين ولذلك ، فقد اختلفت مواجهتهم ، حتى أن معارك المسلمين مع اليهود تختلف اختلافا كبيراً عن معارك المسلمين مع قريش، لأن اليهود ينطلقون من (فكر وعقيدة)، وكانوا يرون لأنفسهم فضلاً على العرب ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا

(١)- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١/٧ رقم ٣٦٧٨٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٠٩ وقال: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه ، وينظر أيضا المبارك - فوري مصدر سابق ٢٥٣.

(٢)- الجبوري - نهاد شهاب -العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين- الناشر دار الحرية بغداد ١٩٨٧م-٣٥.

جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩)، ومع امتلاك اليهود للعقيدة ، فقد كانت معنوياتهم في الحضيض ، لدرجة أنهم لم يثبتوا ثبات قريش ، مع أنهم كانوا يملكون من العدة والعتاد ما لا تملكه قريش، بل مالا يملكه العرب مجتمعين، فقد غنم المسلمون من اليهود أكثر مما غنموا من مشركي العرب، وتعود تحطم الروح المعنوية لدى اليهود من وجهة نظرنا إلى أسباب أهمها:

١- معرفتهم من خلال كتبهم بصدق النبي -ﷺ- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/٢٠) فكون الخصم يحارب،وهو يعلم بصدق ما يدعيه خصمه، وكذب ما يحمله هو، فإن ذلك يعني اليقين بالهزيمة، وهو ما كان عليه اليهود.

٢- شهودهم ومعرفتهم لما دار بين المسلمين ومشركي العرب من المعارك، وما آلت إليه تلك المعارك، وهذا دمر معنوياتهم بشكل جعلهم يصلون إلى مرحلة اليقين بعدم القدرة على مواجهة المسلمين مما حدا بهم إلى تحزيب الأحزاب والتحالف مع الوثنيين بكل قبائلهم ضد المسلمين، كما حدث في غزوة الخندق بل وصل بهم الأمر حد قيامهم بتعبئة مشركي العرب، والشهادة بأن ما يعتقدونه من الوثنية أهدى مما جاء به محمد-ﷺ-، وقد صور القرآن هذا فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (النساء/٥١).

٣- الطبيعة التي جبلوا عليها من الجبن والذل، فقد وصفهم الله بذلك قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ (البقرة/٦١)، وقال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/١٤).

٣) المنافقون :

وهم الخصم الثالث لرسول الله وأصحابه، وهذا الخصم كانت الروح المعنوية لديه في أدنى مستوياتها، الأمر الذي جعلهم يلجاؤن إلى أسلوب الخيانة والتلصص والكذب والكيد والمخادعة، وهذا لا يلجأ له إلا من كان علي يقين أنه لا يستطيع المواجهة- لا أعني المواجهة العسكرية بل وحتى المواجهة الكلامية_ ولذا فقد أظهر المنافقون خلاف ما يبطنون ولكن القرآن فضحهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون/١)، ووصل بهم الحال إلى تشجيع غيرهم خفية على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، والوعد كذباً بنصرتهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/١٢-٢٤].

فهذه الروح المعنوية الخائرة لدى المنافقين ترجع إلى أسباب نذكر منها:

١- حضورهم بعض المعارك التي خاضها المسلمون مع المشركين واليهود، ذلك الحضور الذي رأوا فيه الموت المحقق، وشاهدوا شدة بأس المسلمين مع عدوهم في المعارك. مما جعلهم لا يفكرون مجرد التفكير بالمواجهة الكلامية فضلا عن المواجهة العسكرية.

٢- غياب المستند العقدي والفكري (الأيدلوجي) لهم ، فإذا كان اليهود يحملون عقيدة، والمشركون يحملون عقيدة _رغم انحراف تلك العقائد _ فالمنافقون لا يحملون أي عقيدة ، وكان منطلقهم هو الكبر والحقد والغل ضد الإسلام والمسلمين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون/٨].

٣- قلة أعدادهم فهم- مقارنة بأعداد المشركين أو اليهود أو المسلمين- قلة قليلة لذلك كان لسان حالهم يقول : إذا كان اليهود والمشركون قد هُزموا أمام المسلمين فكيف بنا ونحن أقل عدداً وعدة. ؟

٤- تعرية القرآن لهم، حيث اكتفى الإسلام بمواجهتهم إعلامياً ، ولم يستخدم ضدهم أي إجراء مادي على الإطلاق، حتى حد القذف لم يقم على من خاض في

حادثة الإفك منهم ، مع إقامته على من خاض فيه من المسلمين[١]. واكتفى الرسول -ﷺ- بما كان يترل من القرآن لفضحهم في كل تحركاتهم، واستخدم ضدهم الحرب النفسية فقط ، إلى الحد الذي جعلهم يرتجفون من كل شيء وجعلهم يعيشون في قلق وتوتر دائم، وقد صور القرآن حالهم بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون/٤).

(١) - المباركفوري- مصدر سابق ٣٠٥. كـ(مسطح، وحسان، وحمنة)

ثانيا: صور الحرب النفسية من سورة الأنفال

الحديث عن هزيمة الخصم لتدمير معنوياته قبل المعركة

١) صورة من واقع مشركي قريش.

تتمنى كل الجيوش في كل الدنيا قبل خوضها للمعارك أن يكون الخصم مضطرب المعنويات ضعيف التعبئة؛ لأن ذلك سيساعدها على الانتصار عليه وهزيمته، لذا تحرص تلك الجيوش على بث الإشاعات وإرسال المعلومات التي من شأنها تدمير معنويات الخصم، وتثبيط عزيمته، ومن أجل ذلك تنفق الأموال الكثيرة في مجال الحرب النفسية، وتتركز الجهود بشكل مكثف قبل الدخول في المعركة ، حتى وإن كان الجيش يضمن النصر إلاّ أنه يتجه إلى الحرب النفسية ليضمن ليس الانتصار فقط ، ولكن ليضمن إلى جانب ذلك سرعة الحسم[١]، وقد ركز القرآن على تدمير معنويات الخصوم ، وتحدث عن هزيمتهم عسكرياً بصيغة الجزم المستقبلي، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر/٤٥)، فهذه الآية نزلت بمكة، قال الطبري فهزم المشركون يوم بدر[٢]،وقال القرطبي: كان ذلك يوم بدر[٣] ، وسورة الأنفال اهتمت بهذا الأمر اهتماما بالغاً،

(١)- الجبوري - نهاد- مصدر سابق٣٦ -

(٢)- الطبري - الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبوجعفر ت ٣١٠هـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن-الناشر دار الفكر بيروت - عام ١٤٠٥هـ ٢٧/ ١٠٨ .

(٣)- القرطبي - الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، ت ٦٧١هـ الجامع لأحكام القرآن -تحقيق أحمد عبد العليم البردوني- الناشر دار الشعب القاهرة - ط/٢ عام ١٣٧٢هـ١٧/.١٤٥

فالحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم بالشكل الجازم الذي استخدمه القرآن لـه وقـع السحر على الخصوم قبل الدخول في المعركة، بل وقبل التفكير في خوضها، إذ تنـهار معنوياته إلى درجة أنه يدرك الهلاك ، وكفى بهذا الشعور في تحطيم المعنويات.

والسيرة النبوية أوردت أمثلة في هذا المجال نذكر منها:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على نفر من قريش بالهلاك فهلكوا قـتلاً بأيدي المسلمين في(بدر)، ونذكر هنا جزءا من الحديث الذي رواه ابن مسعود، حيث قال: أن رسول الله ﷺ دعا على قريش فقال :(اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط) وذكـر السـابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمدا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر)[1] وهؤلاء الذين ذكروا كلهم قتلوا في (بدر) عدى أبي بن خلف إذ قتل في (أحد)، وله قصة أوردها المحدثون ، وهي: أن رسول الله ﷺ قد قال عنـه في مكة إني أقتله إن شاء الله ، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أن أبيا :حلـف ليقـتلن رسول الله ﷺ، فجاء يوم (أحد) عازما على إبرار قسمه بقتل النبي ﷺ ، فلمـا رآه النبي ﷺ انتزع حربة فرماه بها فسقط من على فرسه، وجره أصحابه وهو يخور خـوار

(١) - رواه البخاري ٩٤/١ رقم ٢٣٧،و مسلم ١٤١٨/٣ رقم ١٧٩٤، ينظر أيضا: صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي . ت ٦٧٦هـ الناشـر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عام ١٣٩٢هـ ط/٢ -١٥٣/١٢.

الثور فقالوا: ما بك إنه جرح هين ؟ فقال والله لو نظر إلىّ محمد لقتلني، وفي رواية أخرى والله لو تفل عليّ محمد لقتلني، ومات في الطريق إلى مكة...[١]

(١)- وهنا نسرد جزءا من الروية وهو ما يتعلق بأبي بن خلف (وأما أبي بن خلف ، فقال والله لأقتلن محمدا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله -إن شاء الله- قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺإلى أبي بن خلف فقيل إنه لما قيل لمحمد ﷺما قلت قال: بل أنا أقتله إن شاء الله فأفزعه ذلك وقال أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم فوقعت في نفسه، لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولا إلا كان حقا ، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه فيحول رجل من المسلمين بينه، وبين النبي ﷺ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه خلوا عنه فأخذ الحربة ، فجزله بها يقول رماه بها ، فيقع في ترقوته تحت تسبغة البيضة ، فوقع الدرع ، فلم يخرج منه كبير دم ، واحتقن الدم في جوفه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني أليس قد قال: أنا أقتله -إن شاء الله-،والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم.

قال: فما لبث إلا يوما أو نحو ذلك حتى مات، فأنزل الله فيه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان/٢٧) ، رواه الإمام عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٣٥٧ رقم ٩٧٣١ عن مقسم مولى بن عباس رضي الله عنهما، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٧ رقم ٣٢٦٣ عن سعيد بن المسيب عن أبيه ،وقال صحيح على شرط الشيخين، و ينظر أيضا: ابن القيم - الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله ت ٧٥١هـ - زاد المعاد في هدي خير العباد - تحقيق شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط - الناشر مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ط/٤ عام١٤٠٧ . ١٩٨٦ - ٢٠٩/٣

٢) حتمية خسارة المال والهزيمة وعذاب الآخرة.

الآية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، تحدثت الآية عن ثلاث نتائج من نتائج إنفاق المشركين لأموالهم للصد عن سبيل الله الأولى: أنها تكون عليهم حسرة، والثانية: أنهم يغلبون، والثالثة: أنهم يحشرون إلى جهنم ، وهنا يبرز تساؤل لماذا قدم الحسرة على الغلب في السياق.؟ إذ المفترض أن تكون الحسرة نتيجة الغلب ؛ لأن المنفق عندما ينفق ماله لشيء ما، فإنه ينتظر النتيجة منه، فإذا كانت إيجابية فرح وانتشى، وإذا كانت سلبية تحسر على ما أنفق، وعلى هذا كان المتوقع أن يكون السياق فسينفقونها ثم يغلبون ثم تكون عليهم حسرة... الخ، فما الحكمة من تقديم الحسرة في السياق على الغلب.؟

أقول والله أعلم: إن المشركين بما جبلوا عليه من تحكم غريزة حب المال [1] المعنية بقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر/٢٠) على قلوبهم لا ينفقون إلاّ كرها على أنفسهم وعليه، فالمنفق لماله ، وهو بهذه النفسية الهلوعة ينفقه، ثم يتحسر عليه ابتداء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، فإن المشركين عندما يرون أموالهم وهي تتجه وتسير

(١) لأن حب المال غريزة إنسانية يستوي فيها المسلم وغير المسلم، والفارق هو تحكم المسلم بها وتحكمها بغير المسلم.

إلى الإتلاف المحقق في مواجهة الحق[١] يتحسرون عليها فكأنه يقول: إنهم ينفقون أموالهم مع تيقنهم من الخسارة ذلك يصيب أنفسهم بالحسرة ، كونهم يعلمون عدم الجدوى من الإنفاق، فذكر القرآن الحسرة ،ثم أردف قائلاً (ثم يغلبون)، فتصير الحسرة حسرتين: حسرة على إنفاق المال وحسرة من الغلب (الهزيمة).

والحسرة لاشك وضع نفسي تدميري، والقرآن بهذا التعبير يدمر معنويات جزء كبير من جيش الخصم ، وهذا الجزء هم المُمَوّلُون (بكسر الواو) وهؤلاء إن دمرت معنوياتهم وخارت عزائمهم أحجموا عن القتال، فإذا أحجم هذا الفريق عن القتال كان غيره أكثر إحجاماً، لأن الممول المفترض منطقياً أن يكون أكثر إقداماً لأنه إذا أحجم كان أكثر الناس خسارة في حالة الغلب، إذ أنه في حالة النصر سيرجع إليه ماله ،ومثله ، وربما أكثر، وفي حالة الهزيمة يخسر المال، فيكون متحسراً ومغلوبًا، أما غيره وهم المُمَوَلون (بفتح الواو) ، فإن إقدامهم يتوقف على إقدام الفريق الأول، فإذا أحجم كانوا أكثر إحجاماً ؛ لأنهم أقل خسارة من غيرهم فهم في حالة النصر سيأخذون مالاً

(١) قال الطبري :(فسينفقون أموالهم في ذلك ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة يقول: تصير ندامة عليهم لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون، ويطمعون فيه من إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله ؛لأن الله معلي كلمته وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به، وبرسوله إلى جهنم ، فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحي ،فذهب ماله باطلا دون درك نفع ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا). تفسير الطبري ٩ / ٢٤٤

دون أن ينفقوا شيئاً، وقد يتساوون مع من أنفق في الأنصبة، وفي حالة الهزيمة -إذا لم يقتلوا أو يجرحوا أو يؤسروا- لم يخسروا شيئاً فهذا _والله أعلم_ هو سر تقديم الحسرة في السياق على الغلب، فالحسرة الأولى للفريق الأول الممول على ما أنفق ، ثم الحسرة الثانية بسبب الهزيمة للجميع أي للفريقين ، و مصيرهم جميعاً إلى جهنم.

إذاً ، فهذه الآية تتحدث عن خبايا النفوس المشركة التي تنفق المال للصد عن سبيل الله ، وهي وإن كانت تنفق المال لذلك الهدف ، فهي تشعر في مكنونها بأنها تسير بأموالها إلى التلف، وهذا الشعور نجح الإسلام في غرسه في نفوس أعدائه على مدار التاريخ.

٣) الترغيب والترهيب .

الآية، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، هذا أسلوب القرآن البديع: فإنه عندما يتحدث عن مصير المعاندين والمحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك المصير على وجه الحسم والجزم ،ولكن قبل الحديث عن المصير المحتوم يفتح لهم باباً واسعاً للانتظام في صف عباد الله دون محاسبتهم عما اقترفوا بحق المسلمين عندما كانوا كفارا، ويعتبر هذا الأمر أعظم عامل في إطماع النفوس في المجيء إلى الإسلام والدخول فيه ،إذ يجد العدو نفسه أمام عفو مطلق لا يتحمل معه أي تبعة لأي شئ مضى قبل إسلامه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أسلم من أسلم ممن حارب الإسلام في (بدر)، (وأحد) ،وغيرهما... ، والإسلام أعظم

نظام عرفته البشرية، فقد حورب حرباً شعواء ، وقُتل كثيرون من خيرة أتباعه على أيدي رجال أسلموا ، فيما بعد وحسن إسلامهم وصاروا سيوفاً من سيوف المسلمين، فلو كان من شارك في معركة أحد في صف المشركين -كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما- يعلم أنه إذا جاء إلى النبيﷺ مسلما سيعاقبه - ولو بعقوبة بسيطة - ما أتى ولكنه علم أن الإسلام يجب ما قبله ،وهذا الأمر له أثره الكبير في تشجيع من كان في صف المشركين أن يأتي مسلما، (إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) فهذه الآية تؤثر في معنويات الخصم من عدة جوانب منها:

أنها تفتح الباب للعقلاء من الخصوم بالانضمام إلى صف المسلمين، لمعرفتهم أنهم لن يلقوا إلاَّ الحفاوة والترحاب، والفرح بإسلامهم، وإن كانوا قد حاربوا المسلمين من قبل، وقتلوا عدداً من المسلمين في المعارك فإنه (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ).

أن هذا الأمر أصاب قادة العدو بنوع من الاهتزاز في التصرفات، واتخاذ القرار،إذ أدرك أولئك القادة أن أفراد معسكرهم إذا أحسوا بالظلم أو المضايقة سيتجهون إلى المعسكر الإسلامي الذي سيستقبلهم بالحفاوة والترحاب ، فيضطر أولئك القادة إلى كثير من المجاملات الزائدة ويتجنبون الاحتكاك المباشر مع الجنود خوفاً عليهم من الفرار، وهذا الأمر له أثره النفسي إذ يصيب القادة بفقدان الثقة بالجنود وهي أهم نتيجة تتوخاها الحرب النفسية.

ومن ذالك أن معنويات جموع الخصم تهتز عندما يتسرب الأفراد باتجاه المعسكر الإسلامي، فيحدث فيه التزايد بينما يحدث التناقص في معسكر المشركين، ولهذا هزمت قريش معنوياً أكثر من هزيمتها مادياً ،فعندما رأت أهم قادتها وقد أسلموا وانضموا إلى المعسكر الإسلامي، وأصبحوا قادة في جيش الإسلام خارت عزيمتها، ولم يجد (أبو سفيان)عبارة يقولها لقريش يوم فتح مكة سوى:(يا قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به)[١].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا) أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) أي: من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم. كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها)[٢]، وقوله تعالى: (وَإِنْ يَعُودُوا) أي: يستمروا على ما هم فيه (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة قال مجاهد[٣]: في

---

(١)- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧ من حديث طويل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم ١/١١٢ رقم ١٢١.

(٣)- مجاهد : الإمام شيخ القراء والمفسرين مجاهد بن جبر وقيل بن جبير أبو الحجاج المكي الأسود مولى عبدالله بن السائب، تابعي جليل، سمع من بن عباس وبن عمر، وعن كثير من الصحابة قال عن نفسه عرضت القران على بن عباس ثلاثين مرة، مات رحمه الله سنة ١٠٣ هـ، ينظر ترجمته في : التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٤١١ ،والكنى والأسماء

قوله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أي في قريش يوم (بدر) وغيرها من الأمم)[١] وقال الإمام الشوكاني : (وفي هذه الآية دليل على أن الإسلام يجب ما قبله _وإن يعودوا_ إلى القتال والعداوة أو إلى الكفر الذي هم عليه ويكون العود بمعنى الاستمرار_فقد مضت سنة الأولين _هذه العبارة مشتملة على الوعيد، والتهديد والتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب، أي: قد مضت سنة الله ، فيمن فعل مثل هؤلاء من الأولين من الأمم أن يصيبه بعذاب فليتوقعوا مثل ذلك)[٢].

أقول هذه الآية تسير باتجاهين أحدهما: التعبئة المعنوية للمسلمين ، والآخر تحطيم معنويات الخصوم وسد كل الطرق أمامهم، إلا طريق الإسلام، أي: الدخول فيه، وعجز الآية يتحدث عن المصير المحتوم بصيغة التحقيق على اعتبار أنها سنة ماضية، أي: قانون سار إلى الأبد ، وهي تحمل حقيقة أنهم لن يجنوا خيراً من حربهم للإسلام ،فإن من حارب الحق المنزل من الله سبحانه لم يجن خيراً وكان مصيره الهزيمة والعذاب، وهذه الحقيقة لها من التأثير على النفس مالها، إذ أن من يدخل المعركة، وهو متوقعٌ للهزيمة-

---

لمسلم ١/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٤٤٩.

(١)-ابن كثير - الإمام أبي الفداء اسما عيل القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ - تفسير القرآن العظيم - المشهور بتفسير ابن كثير - الناشر دار المعرفة بيروت لبنان- ط/٢ -١٩٨٩ م ٢/ ٣٢٠، ٣٢١ .

(٢) - الشوكاني- محمد بن علي -. ت ١٢٥٠هـ - فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية في علم التفسير- الناشر دار الفكر بيروت عام١٩٨٣م - ٢/ ٣٠٨.

ولو بنسبة بسيطة- فإن معنوياته لاشك في هبوط، إذ تظل تلك النسبة في ازدياد مستمر حتى تنتهي إلى الهزيمة الفعلية، فكأن القرآن يقول: أيها المعاندون لن تكونوا أقوى من فرعون، والنمرود وغيرهما ممن حارب الله ورسله على مر العصور حيث هزمهم الله ونصر رسله، وهي حقيقة أكدها الله سبحانه بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة/٢١).

٤) التحذير من مغبة التمادي في حرب الله.

الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ٥٩).

تطلق الآية تحذيراً وتهديداً للمحاربين للإسلام الذين يريدون إعادة الكرة لحرب المسلمين ، وأولئك الذين تعنيهم الآية هم الذين أفلتوا من معركة سابقة، إما لهربهم، أو لعدم حضورهم ، فتولد لديهم التحدي، لمواجهة المسلمين، فهذه الآية تقول لهم : إن كنتم قد أفلتم من المعركة السابقة ، فإن ذلك لا يعني إفلاتكم من البطش، أن الله عاجزٌ عن الإحاطة بكم، كلاَّ فإنكم لا تعجزونه أبدا ،و الآية وإن كانت تعني من لم يحضر معركة (بدر)، إلاّ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما هو معروف.

قال ابن كثير: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ سبقوا أي فاتونا ، فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا، وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا وهي كقوله ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (العنكبوت/٤ أي يظنون)[1].

وقال الإمام الشوكاني: (أي أنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم... وقيل المراد بهذه الآية من أفلت من وقعة (بدر) من المشركين، والمعنى: إنهم

(١) – ابن كثير– مصدر سابق ٢/ ٣٣٤.

وإن أفلتوا من هذه الوقعة ونجوا ، فإنهم لا يعجزون، بل هم واقعون في عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة ،وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ[١] عن ابن عباس –رضي الله عنه– في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ قال: (لا يفوتونا)[٢].

وقال عبد المنعم تغلب: (ولا يظنن من أمهل من الكفار فلم يعاجل ببطش الله أنه أفلت وفات من أن ينكل به، لأنه لن يعجز الله أن ينتقم منه، فهو سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيئاً في الأرض ولا في السماء)[٣].

أقول: تضطرب حسابات الجيوش ، وتهتز معنويات أفرادها بمجرد أن تسمع أن الخصم الذي تواجهه مسنود معنوياً (وهو التأثير الإعلامي والموقف السياسي) ممن هو أقوى منهما– أي من المقابلين _ بفتح اللام–، فكيف إذا هدد أنه يرصد تحركاتها، وأنه ليس غافلاً، بل وسيعاقب تلك الجيوش على اعتدائها، أو مواجهتها لحليفه .

---

(١) – أبو الشيخ: حافظ أصبهان ومسند زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة ويعرف بابي الشيخ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين صنف التفسير والكتب الكثير في الأحكام وغير ها، توفي سنة ٣٦٠ هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٥.

(٢) – الشوكاني – مصدر سابق٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) – تغلب– عبد المنعم احمد– فتح الرحمن في تفسير القرآن – الناشر دار السلام ط/ ١– ١٩٩٥م–٣/١٢٤٣،١٢٤٤

لا شك أن معنويات تلك الجيوش ستهبط إلى الصفر، بل وقد تهزم أمام من هو أقل منها عدداً وعدة.

فالجيش العربي مثلا في حرب ١٩٦٧م كان أكثر عدداً وعدة، وأكثر تدريباً، بل كان أضعاف الجيش (الصهيوني) ، ومع ذلك هزم، وفي تصورالباحث أن تلك الهزيمة ترجع إلى عدة أسباب أهمها السبب المعنوي: وتأثر الجانب المعنوي للجيش العربي آنذاك يظهر في صورتين :

الصورة الأولى : استطاع العدو بوسائله المختلفة أن يثبت لدى الجيش العربي أنه إنما يحارب (أمريكا) وليس (الكيان الصهيوني) ، فتحطمت المعنويات ؛ لأنها كانت مبنية على القوة المادية فقط، والجانب المعنوي لديه هو حب التراب والحرب من أجل التراب يختلف عن الحرب من أجل العقيدة (طلب الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله) من حيث الثبات ، فالجيش العربي آنذاك تساوى مع الجيش الصهيوني في التشبث بالحياة ، واختلفا في الحشد الإعلامي والسند المعنوي، فكان الجيش العربي يعتقد أنه يواجه أمريكا وهي أقوى مادياً_ وهذا واقع_. وما دامت تساند إسرائيل فهي أقوى مادياً، وهذا من أهم الأسباب التي أدت إلى الهزيمة وسرت في الجيوش العربية مقولة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة/٢٤٩) أي لا طاقة لنا بأمريكا اليوم.

الصورة الثانية أن الجيوش العربية عندما غاب عنها الهدف الأسمى الذي من أجله تحارب انهزمت معنويا، إذ ماذا يعني الدفاع عن التراب ، فالتراب لن يكون أغلى من

الروح، لكن الجندي الذي يدخل المعركة وهو يعتقد أنه يدافع عن ما هو أغلى من التراب[١] ومن النفس، وهو الدين، ويدخل إلى أرض المعركة بنفسية المتيقن بالموت والإستشهاد معتبرا أن الحياة التي سينقلب إليها خير من هذه الحياة تلك، والله هي أعلى المعنويات، وهي أقوى من الماديات فالمسلمون الأوائل كانوا أقل عددا وعدة لكنهم كانوا أعلى معنويات من خصومهم فكان لهم النصر والمعارك في التاريخ أعظم الشواهد[٢].

والآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ التي نحن بصدد الحديث عنها تقول: أيها الكفار لا تظنون أنكم بعيدون عن بطش الله بل إنه ينظر إليكم ، ويرصد تحركاتكم، وسيعاقبكم على محاربتكم لأوليائه، ومما لا شك فيه أن هذا الأمرعندما يصل إلى الخصم، فإنه سيدمر معنوياته بشكل كبير. إذ كيف تكون معنويات جيش يحارب خصماً يعلم علماً يقينياً أنه مسنود من القوي العزيز الذي لا يغلبه غالب؟ لا شك أنها ستكون في الصفر.

---

(١)- لا يعني هذا الدعوة إلى التفريط بالأرض ، وإنما القصد سيادة العقيدة وحب الأرض لا لذاتها وإنما لكونها مكان تطبيق الشريعة.

(٢)- ينظر الجبوري: نهاد- مصدر سابق ٢٩.

الخلاصـــــــة.

إن الحرب النفسية في صدر الإسلام تدرجت بشكل عظيم، وسارت وفــق إدراك لنفسيات من واجهتهم بمختلف أصنافهم الأمر الذي أسس منهجا باهرا في الدراسات النفسية، وتوظيفها في مجال الحروب بتفوق منقطع النظير.

مما جعل الجيوش الإسلامية_ رغم قلة العدد والعدة_ أكثر تفوقا مــن خصــومها وسار المسلمون من نصر إلى نصر ومن فتح إلى فتح ، حتى وصلت دولة الإســلام إلى الصين شرقاً ، وإلى فرنسا غرباً ، وتأسست أعظم حضارة نقلت العالم نقلــة نوعيــة ، وحولت مجرى التاريخ البشري ، وفتحت أفاق العلوم المختلفة.

الخاتمـــــة

من خلال التنقل في ظلال آيات سورة الأنفال ندرك إنها تعرض صورا قوية مـــن صور الحرب النفسية، وهي وإن كانت تعرض لتفاصيل من معركة (بدر) الكـــبرى إلا أنها أسست لمنهج بديع قوي في الحرب النفسية، سيظل نبراسا تستلهمه العقول وتسير وفق خطاه لتحقيق النصر، ومن خلال عرضنا لتلك الصور؛ نتبين أن سورة الأنفـــال وضعت منهجا لاستخدام الحرب النفسية قبل المعركة، وأثناء المعركة، وبعد المعركـــة، وهو المنهج المتكامل في المواجهة بين القوى العسكرية في عصرنا الحاضر، فان القـــوى المتحاربة في الوقت الحاضر تشن حربا نفسية على بعضها قبل المعركة، وتشـــن حربـــا نفسية على بعضها مصاحبة للمعركة، وتشن حربا نفسية على بعضها بعـــد المعركـــة، والفارق بين الحرب النفسية التي تشنها القوى المادية على بعضـــها، والحـــرب الـــتي وضعتها سورة الأنفال: يتجلى في أن الحرب النفسية اليوم تعتمد الإشـــاعة الكاذبـــة وتعتمد كل الوسائل المشروعة، وغير المشروعة ولا تحكمها الأخلاق ، في حين الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال لم تستخدم الإشاعة الكاذبة ، وإنما استخدمت الحقـــائق المنطقية التي يتفق عليها الكل حتى الخصوم ، واستبدلت الإشاعة بأســـلوب يســـمى التورية،ولم تغفل الأخلاق، وإن كان الإسلام يجيز الكـــذب في الحـــرب، فقـــد قـــال ﷺ:(الحرب خدعة)[1]

(١)- رواه البخاري ٣/ ١١٠٢ رقم ٢٨٦٥، ومسلم ٣/ ١٣٦٢ رقم ١٧٤٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والحرب النفسية التي اعتمدها السورة تستهدف كل شـــرائح الخصـــم، القـــادة والجنود، القريب والبعيد ، المموِل والمموَل، من دخل المعركة ومن لم يدخلها، وهـــي بهذا المنهج تشكل سياجا قويا على الأمة المسلمة تصطدم به كل النفوس التي ترغب في النيل من الإسلام وأهله.

المصـــــادر

١- **الأنصاري: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمـــد** ت ٣٦٩هـــ - طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها- تحقيـــق عبدالغفورعبـــدالحق حســـين البلوشي – الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت - ط/٢ عام ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م –

٢- **ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد الكـــوفي**-ت٢٣٥هـــ المصـــنف في الأحاديث والآثار- تحقيق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض- ط /١ عام ١٤٠٩هـــ.

٣- **الشيباني : احمد بن حنبل: أبو عبد الله** ت ٢٤١هـــ- المسند الناشر: مؤسسة قرطبة- مصر.

٤- **البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي** ت ٢٥٦هـــ الجامع الصـــحيح المختصر- تحقيق: د. مصطفى ديب البغا- الناشر: دار ابـــن كـــثير ، اليمامـــة بيروت - ط/٣عام ١٤٠٧هـــ - ١٩٨٧م.

٥- **التاريخ الكبير- تحقيق: السيد هاشم النـــدوي- الناشـــر: دار الفكـــر بيروت.**

٦- **النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري** - صـــحيح مســـلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت .

٧- الكنى والأسماء - تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري - الناشـــر: الجامعـــة الإسلامية المدينة المنورة- ط/١ ١٤٠٤هـــ

٨- الهيثمي : علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- الناشر: دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربي- القاهرة بيروت عام ١٤٠٧هـ .

٩- ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٠٨هـ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان – تحقيق: د.إحسان عباس - الناشر: دار الثقافة - بيروت عام ١٩٦٨م.

١٠- السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ - طبقات المفسرين- تحقيق : علي محمد عمر-الناشر: مكتبة وهبة القاهرة- ط/١ عام ١٣٩٦هـ .

١١- الشوكاني: محمد بن علي ت١٢٥٠هـ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- الناشر: دار الفكر بيروت عام١٩٨٣م.

١٢- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله –ت ٧٤٨ هـ - سير أعلام النبلاء- تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي- الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- ط/٩ عام ١٤١٣هـ.

١٣- القيسراني: محمد بن طاهر ت ٥٠٧هـ - تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)-تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي- الناشر: دار الصميعي الرياض –ط/١ ١٤١٥ هـ.

١٤- ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء ت ٧٧٤هـ تفسير القرآن العظيم – الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان- ط/٢ ١٩٨٩ م .

١٥- البداية والنهاية- الناشر: مكتبة المعارف – بيروت.

١٦- **الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام** ت ١٢٦هـ - المصنف تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- الناشر: المكتب الإسلامي بيروت- ط/٢عام ١٤٠٣ هـ.

١٧- **محفوظ: محي الدين علي** - مدخل إلى العقيدة والاستراتيجية -الناشر: دار الاعتصام القاهرة- ط/٢.

١٨- **الزبيدي: كامل**- علم النفس في الميزان العسكري- الناشر: الدار العربية للموسوعات- ط/١ عام ١٩٨٨م.

١٩- **نوفل: أحمد** - الحرب النفسية — الناشر: دار الفرقان عمان الأردن - ط/٣ ١٩٨٧م.

٢٠- **الجبوري: نهاد شهاب** - العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين- الناشر: دار الحرية- بغداد بدون رقم طباعة ولا تاريخ.

٢١- **الطبري: الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر** ت ٣١٠ هـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الناشر: دار الفكر بيروت عام ١٤٠٥هـ.

٢٢- تاريخ الأمم والملوك تحقيق: كمال يوسف الحوت الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت- ط/ ١ عام ١٤٠٧هـ.

٢٣- **القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله** ت ٦٧١هـ - الجامع لأحكام القرآن —تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني — الناشر: دار الشعب القاهرة - ط/٢عام ١٣٧٢ هـ.

٢٤- **النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري** ت ٦٧٦هـ صحيح مسلم بشرح النووي- الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - ط/٢ عام ١٣٩٢هـ .

٢٥- **ابن القيم: للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله** ت ٧٥١هـ - زاد المعاد في هدي خير العباد – تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية- بيروت – الكويت - ط/٤ عام١٤٠٧.

٢٦- **ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري** ت ٧١١هـ- لسان العرب- الناشر: دار صادر بيروت - ط/١.

٢٧- **الحاكم: محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري** - ت ٤٠٥هـ المستدرك على الصحيحين - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - ط/١- عام هـ١٤١١ ١٩٩٠م.

٢٨- **خلاف**: المرحوم الشيخ عبد الوهاب - كان أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة - علم أصول الفقه- الناشر دار القلم الكويت- ط/٢٠ عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٩- **ابن هشام**: عبد الملك الحميري المعا فري أبو محمد ت ٢١٣هـ -السيرة النبوية- تحقيق: طه عبدالرؤف سعيد - الناشر: دار الجيل بيروت لبنان ط/١ ١٤١١هـ.

٣٠- **قطب: سيد ت: ١٩٦٦م- في ظلال القرآن - الناشر: دار الشروق بيروت لبنان – ط/١١عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.**

٣١- **شاكر: محمود**- التاريخ الإسلامي- الناشر: المكتب الإسلامي بيروت- ط/١ ١٩٨٥م.

٣٢- **الزمخشري : أبي القاسم جار الله محمود عمر الخوارزمي** ت ٥٣٨هـ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان- بدون رقم ولا تاريخ طبعة.

٣٣- **المبارك فوري: الشيخ صفي الرحمن**- الرحيق المختوم – الناشر: دار القلم بيروت – ط/١عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٤- **مجموعة من الباحثين**: المنجد في اللغة والأعلام – الناشر: دار المشرق العربي بيروت –ط/٢٨ عام ١٩٨٦م.

الشاهد الشعري

في تفسير أبي السعود

الدكتور / عبد الحق عبد الدائم القاضي
الأستاذ المساعد في قسم القرآن الكريم بكلية التربية
جامعة صنعاء

الشاهد الشعري في تفسير أبي السعود

د . عبد الحق عبد الدائم القاضي
كلية التربية – جامعة صنعاء

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المبين: (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء ١٩٣-١٩٥، والصلاة والسلام الاتمان الأكملان على خير الأنام محمد بن عبد الله النبي الأمي القائل: (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) [١] وعلى آله وصحابته العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلغتهم ففهموه وطبقوه في جميع شوؤن حياتهم وبعد :

فلا شك أن العرب كانت لهم وقائع وأيام أثارت عصبياتهم وافتخروا بها بين الأمم، حيث إنها تدل على طبائعهم وأخلاقهم وعاداتهم.

وقد كان للشعر مكانة مرموقة، ومنزلة رفيعة لا تخفى على كل مهتم بهذا الشأن قديماً وحديثاً، فهو سجل حافل لكل ما يجري من أحداث في حياتهم، سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وهو أيضاً مرآة ناطقة بأخلاقهم وفضائلهم وعاداتهم وشمائلهم [٢].

هذا وقد كان للعرب كثير من الوقائع العظيمة التي هاجت قبائلهم، وأثارت عصبياتهم، تحدث عنها شعراؤهم فكانت مادة رائعة لسمَّارهم ومحدثيهم خلال حقب طويلة وعصور بعيدة، وقد سميت هذه الوقائع بأيام العرب [٣].

قال عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا [٤].

ولم يقتصر تأثير الشعر على تسجيل الوقائع والأحداث فحسب بل امتد إلى التأثير في حياتهم اللغوية، ولعل خير ما يصور ذلك التأثير أسواقهم المشهورة، كسوق " عكاظ" التي كانت سوقاً أدبية كما كانت سوقاً تجارية، وكان الخطباء يرتجلون فيها خطبهم، وينشد الشعراء قصائدهم [٥].

وقد ذكر الإمام السيوطي –رحمه الله– كلاماً رواه عن ابن عباس يشير فيه إلى أهمية الشعر في حياة العرب فقال: (وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)[٦].

وتبع علماءَ اللغةِ علماءُ النحو إذ اتخذوا الشعر مصدراً أساساً يحتكمون إليه في تقعيد قواعد العربية ووضع الأسس الأولى لعلم سمي فيما بعد بعلم النحو.

وإذا أمعنا النظر في كتاب سيبويه وجدنا أنه اشتمل على ألف وخمسين شاهداً، وفي ذلك يقول الجرمي: (نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً)[٧].

ولم يقف الأمر عند اللغويين والنحويين فحسب، بل تعدى ذلك إلى المفسرين الذين عنوا عناية كبيرة بالشعر، إذ اعتمدوا عليه في تفسير كثير من الألفاظ التي استغلقت عليهم، ولم يكن هذا جديداً أو محدثاً بل كان بعض كبار الصحابة ومنهم حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس، إذا سئل عن معنى كلمة من القرآن الكريم استشهد ببيت من الشعر.

قال أبو عبيد في فضائله: حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير [٨].

ولعل اصدق مثال على ذلك ما جرى بين نافع بن الأزرق وعبد الله بن عباس عندما سأله عن قوله تعالى: " عن اليمين وعن الشمال عزين" الآية ٣٧ من سورة المعارج.

قال: العزون حلق الرفاق، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: (وحناناً من لدنا) الآية ١٣ من سورة مريم.

قال:قال رحمة من عندنا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم: أما سمعت قول طرفة بن العبد :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٩)

وهكذا فإن كتب التفسير مليئة بالشواهد النحوية واللغوية التي تعد جزءاً أساساً من قواعد فهم معاني ألفاظ القرآن وإعراب ما اختلف في إعرابه من آياته، ونحن حينما نتكلم عن الشاهد الشعري إنما نقصد الشواهد الشعرية في عصور الاحتجاج، وهي العصور الثلاثة الأولى : العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي.

وإذا ما ألقينا نظرة على عدد من التفاسير التي بين أيدينا لرأينا صحة ما ذكرناه آنفا، غير أن هناك تبايناً من حيث العدد الذي استشهد به كل مفسر، فالإمام الشوكاني – رحمه الله – ملأ تفسيره بالشواهد الشعرية، حتى إنك لا تكاد تلقي نظرة على أي صفحة من صفحاته إلا ويقابلك شاهد أو أكثر، بينما التفسير الذي نحن بصدد دراسة شواهده لم يكن بهذه الكثرة مقارنة بتفسير فتح القدير.

وقبل أن ندخل في الموضوع نذكر نبذة مختصرة عن تفسير أبي السعود ومؤلفه، حتى يتضح للقارئ منزلة هذا التفسير بين كتب التفاسير وما تميز به كاتبه من علم غزير، فتفسير أبي السعود الموسوم بـ

(**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**) - وهو ما نحن بصدد الحديث عن الشاهد الشعري فيه- .

يعد من أحسن التفاسير بالرأي المحمود، وقد بلغ غايته في الحسن والإبداع وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير، فصاحب العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم يقول عنه في كتابه: "وقد أتى فيه بما لم تسمع به الأزمان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل القائل كم ترك الأول للآخر، وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات، انتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار لحسن سبكه وصدق تعبيره، فصار يقال له خطيب المفسرين"(١٠) .

يقول أبو السعود في مقدمة تفسيره ما ملخصه: لقد اقتصر المتقدمون المحققون على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام- عليه شرائف التحية والسلام، أما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائعة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب القديمة الكريمة، فدونوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الأذهان لا سيما الكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل للبيضاوي،

المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل، حيث أحرز كل منهما قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز،

ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصدفاته بأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل[١١] .

وبالرغم من اعتماده على الكشاف فيما يتعلق بالبلاغة القرآنية وفنونها، إلا أنه لم يغتر – كما يقول الدكتور الذهبي – بما جاء في الكشاف من الاعتزاليات، ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها مع جريانه على طريقة أهل السنة في تفسيره ...

إلى أن قال : إنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية[١٢] .

أما مؤلف هذا التفسير العظيم فهو العلامة محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ ١٤٩٤م.

درس ودرَّس في بلاد متعددة، وقرأ على والده كثيراً، مثل: حاشية الجريد للشريف الجرجاني بتمامها، وشرح المفتاح للشريف أيضاً، كان يكتب الجواب مراراً في يوم واحد باللغات العربية والفارسية والتركية تبعاً لما يكتبه السائل .

تولى عدة مناصب منها القضاء والإفتاء، وقام بذلك أتم قيام وحصل له من المجد والإقبال والشرف والأفضال ما لا يمكن شرحه بالمقال، ورغم انشغاله بالقضاء والفتوى إلا أنه صرف همته إلى خدمة كتاب الله تعالى فألف هذا السفر العظيم الآنف الذكر، ولما وصل فيه إلى سورة (ص) طلبه السلطان سليمان خان، فبيض الموجود وأرسله إليه، وبعد ذلك أتمه وأنعم عليه السلطان وأكرمه بما لم يدخل عليه الحصر .

له مؤلفات أخرى بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، وله أشعار جيده خَلُص كثير منها من ركاكة العجمة .

ومما أخذ عليه – رحمه الله – ميله الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم، ولعل ذلك كان مما تقتضية المصلحة .

توفى –رحمه الله– بالقسطنطينية وهو لا يزال مفتياً، وصلى عليه المولى سنان صاحب حاشية تفسير البيضاوي، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري –رضي الله عنه–[١٣].

وقد اعتمد الإمام أبو السعود على عدد غير قليل من الشواهد الشعرية، وعملنا في هذا البحث تتبع هذه الشواهد، وإيضاح أثرها البارز في توضيح الدلالة اللغوية والبلاغية والنحوية وغيرها ...

هذا وقد جعلت هذا البحث في فصلين:–

الفصل الأول:

توثيق الشاهد الشعري عند أبي السعود

وتقتضي هذه الدراسة توثيق وتوضيح النقاط الآتية:

أ) نسبة الشاهد إلى قائله.

ب) اختلاف الرواية.

ت) التصحيف والتحريف.

ث) التكرار.

الفصل الثاني:

دراسة الشاهد من حيث وظائفه المختلفة

وتشتمل على ما يأتي:

١) البرهنة على قاعدة نحوية.

٢) تحديد الدلالة اللغوية للألفاظ القرآنية.

٣) رصد ظواهر اللهجات العربية.

٤) توضيح الجوانب البلاغية.

الخاتمة:

وتشمل على ما يأتي :

١ – المنهج الذي سار عليه أبو السعود، في الاستشهاد، ومدى أهمية الشاهد الشعري في كتب التفسير.

٢ – أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث.

الفصل الأول :

توثيق الشاهد الشعري في تفسير أبي السعود

١- نسبة الشاهد إلى قائله:

إن المتتبع للشواهد الشعرية في تفسير أبي السعود يجد أن عدداً من هذه الشواهد نسبت إلى قائلها، والبعض الآخر ورد غير منسوب إلى قائل معين، وبعد القيام بإحصاء الشواهد المنسوبة إلى قائليها تبين أنها نحو مئة وستين شاهداً، وسنذكر بعض أمثلة على ذلك .

١) أمثلة الشواهد المنسوبة:

- قوله عند تفسير قوله تعالى: (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) البقرة١٩(١/٥٢).

قال الشماخ :

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحم دان صادق الرعد صيب[١٤]

- قوله عند تفسير قوله تعالى:(اسجدوا لآدم) البقرة ٣٤ (١/٨٧).

فاللام فيه كما في قول حسان – رضي الله عنه –:

أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن.

- قوله عند تفسير قوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)البقرة ٦١(١/١٠٧).

ويجوز الإشارة إلى المتعدد بتأويل ما ذكر أو تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

- قوله عند تفسير قوله تعالى:(لقد كنت في غفلة من هذا)سورة ق ٢٢(٨/١٣٠).

وقرئ (كنتِ) بكسر التاء [١٥] على اعتبار تأنيث النفس، والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص، كما في قول جبلة بن حريث:

يا نفس إنك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنَّك تذكير.

٢) أمثلة الشواهد غير المنسوبة:

- قوله عند تفسير قوله تعالى: (أو يأخذهم على تخوف) النحل ٤٧ (١١٧/٥).

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن.

- قوله عند تفسير قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) المائدة ٦٩(٦٢/٣).

كما في قوله:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف.

- قوله عند تفسير قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال قعيد) سورة ق~١٧ (١٢٩/٨).

فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولِ من قال

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً ومن اجل الطوي رماني.

٢-اختلاف الرواية:

أما المسألة الثانية التي لها تعلق بتوثيق الشاهد الشعري فإنها تتعلق باختلاف الرواية.

ولعل المستقري لهذه المسألة يجد أنها تختلف كثيراً عما ظهر في كتب اللغة، ولاسيما المعجمات العربية، ولنأخذ مثلاً على ذلك ما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور إذ نجد أن الشواهد التي تكرر الاستشهاد بها في بعض مواده اللغوية

جاءت مختلفة بعض الشيء، وهذا الاختلاف متباين نوعاً ما؛ فقد يكون في الكلمة أو الجملة أو الشطر، ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن منظور في لسان العرب حيث أورد شاهدين نلحظ فيهما اختلاف الصدر وبعض الكلم، قال:

فيا بعد ذاك الوصل إن لم تدانه قلائص في آباطهن سفاء. اللسان ١٤/٣٩٠ (سفا)

وما هي إلا أن تقرب وصلها قلائص في البائهن سفاء. اللسان ١٤/٣٩٠ (سفا)

أما عن اختلاف الرواية في الحرف فأورد الشاهدين التاليين :

يرجع بين خرم مفرطات صواف لم يكدرها الدلاء. اللسان ٧/٣٦٩ (قرط)

يُرجع بين خرم مفرطات صواف لم تكدرها الدلاء. اللسان ١٢/١٧٠ (خرم)

ومن اختلاف الرواية قوله:

ترعى الروائم أحرار البقول ولا ترعى كرعيكم طلحاً وغسُّولاً. اللسان ١١/٤٩٤ (غسل)

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلاً. اللسان ١١/٤٩٦ (غسل)

أما في تفسير أبي السعود فالأمر مختلف قليلاً؛ إذ لم تكن ظاهرة اختلاف الرواية ظاهرة على النحو الذي رأيناه في المعاجم، ولعل ذلك راجع إلى عدم تكرار الشواهد في التفسير على النحو الذي مرّ آنفا في معجم لسان العرب، فالشاهد الواحد قد يتكرر عشرات المرات، في حين لا نجد هذا التكرار في التفسير.

وها أنا ذا أورد بعضاً من تلك الشواهد التي وردت في التفسير برواية معينة في حين نجدها في مظانها مختلفة بعض الاختلاف عن روايتها في التفسير.

فعلى سبيل المثال أورد أبو السعود عند تفسير قوله تعالى: (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الرعد ١٢، بيت النابغة الذي قال فيه:

وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راع الحمولة طائراً

حذاراً على أن لا ينال معاوني ولا نسوتي حتى يمتن حرائراً. (٩/٥)

بينما ورد في الديوان على النحو التالي:

وحلت بيوتي في يفاع ممنع يخال به راعي الحمولة طائراً [١٦].

كما أورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران ١٦٩، قول لبيد بن ربيعة:

حسبت التقى والمجد خير تجارة رباحاً إذا ما المرء أصبح ثاقلاً

بينما ورد في الديوان:

حسبت التقى والجود خير تجارة رباحاً إذا ما المرء أصبح ثاقلاً [١٧].

ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ النساء ٣١، وقرئ بفتح الميم [١٨]، وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر، ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور، أي: ندخلكم فتدخلون مدخلاً أو دخولاً كريماً، كما في قوله:

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف (١٧١/٢)

بينما ورد في ديوان الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يَدَع من المال إلا مسحت أو مجلف [١٩].

ومن اختلاف الرواية قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ البقرة ٣٩، قيل كفروا بالآيات جَناناً وكذبوا بها لساناً، فيكون كلا الفعلين متوجهاً إلى الجارِ والمجرور، والآية في الأصل العلامة الظاهرة، قال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع (٩٣/١)

بينما ورد في الديوان:

توهمت آيات لها تعرفونها لستة أعوام وذا العام سابع[٢٠].

ومن خلال ما قدمناه من الأمثلة السابقة يتضح أن اختلاف الرواية يتنوع، بيد أن هذا الاختلاف في الغالب لا يترتب عليه أثر في المعنى.

ولعل رواية الشعر بالمشافهة زمناً غير قصير كان سبباً أو عاملا من عوامل اختلاف الرواية. وربما يؤدي هذا الاختلاف إلى الوقوع في بعض الأخطاء النحوية أو الصرفية [٢١].

٣ – التصحيف والتحريف:

من خلال الوقوف على بعض الشواهد الشعرية في تفسير أبي السعود، وجدنا أن هناك عدداً من الشواهد قد اعتراها التصحيف والتحريف، وقد يترتب على ذلك اختلال في الوزن، وهذا الاختلال ناتج إما عن سهو من المؤلف – رحمه الله – أو لخطأ في الطباعة، أو لعدم دقة المحققين.

ولنأخذ على سبيل المثال بعضاً من تلك الشواهد.

فعند تفسير قوله تعالى: (وهب لنا من لدنك) آل عمران ٨، قال: وبعضهم يخصها بظرف المكان، وتضاف إلى صريح الزمان كما في قوله:

تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر إلى العصير (٩/٢)

بينما ورد في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، على النحو التالي:

تنتهض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر إلى العصير[٢٢].

وقال عند تفسير قوله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر ١١، فإن الإماتة والإحياء ينبئان عن الموت والحياة حتماً، وكأنه قيل: أمتنا فمتنا موتتين اثنتين، وأحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال:

وعضة دهر يابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف (٢٦٩/٧)

بينما ورد الشاهد نفسه في ديوان الفرزدق على النحو الآتي:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف [٢٣].

وعند تفسير قوله تعالى:(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البقرة١٧٧، قال: على أن البر خبر ليس مقدم على اسمها كما في قوله:

سلي إن جهلت الناس عني وعنهم فليس سواء عالم وجهول (١٩٣/١)

بينما أورده العيني على النحو الآتي :

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول [٢٤].

كما أورد بيت النابغة المشهور عند تفسير قوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) النساء ٢٢.

قال: استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (١٥٩/٢).

بينما أوردشاهداً مشابهاً لهذه الحالة لعله لشاعر آخر عند تفسير قوله تعالى (إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) البروج ٨.

بعد قوله: استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن (١٣٧/٩)

وهكذا نلحظ من خلال إيراد بعض الشواهد التي اختلفت فيها الرواية من مكان إلى آخر، وهذا ليس عيباً نلمز به أبا السعود فقد سبقه في ذلك عدد من المفسرين المشهورين – رحمهم الله – .

٤ – التكرار:

والمراد بالتكرار هنا هو: إعادة البيت الواحد أكثر من مرة للاستشهاد به إما معجمياً أو صرفياً أو نحوياً، وهذا التكرار ليس عيباً لأن البيت الواحد لا يعاد أكثر من مرة لغرض واحد، وإنما لأغراض متعددة معجمية أحياناً وصرفية أحياناً ونحوية أحياناً أخرى، وقد يعاد لغرض واحد ولكن من وجوه متعددة، كأن يكون في الشطر الأول شاهداً لقاعدة نحوية ، وفي الشطر الثاني شاهداً لقاعدة نحوية أخرى، وهكذا .

وهذه الإعادة ظاهرة تكررت عند كثير من علماء اللغة أو النحو بل والبلاغة أحياناً فليست بدعاً بين الكتاب والمؤلفين .

وسنحاول الوقوف عند بعض الشواهد التي تكررت عند أبي السعود فعلى سبيل المثال لا الحصر قول الفرزدق:

وعضة دهر يابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف.

تكرر أكثر من مرة، وذلك بحسب الحاجة إليه، فمثلاً ورد هذا الشاهد عند تفسير قوله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) الإسراء ٨٠.(١٩٠/٥)، كما أورده عند تفسير قوله تعالى: (فشربوا منه إلا قليلا منهم) البقرة ٢٤٩(٢٤٣/١)، وورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى:(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر ١١(٢٦٩/٧).

كما أورده أيضاً عند تفسير قوله تعالى:(فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير)الملك ١١(٦/٩)

وورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (وندخلكم مدخلاً كريماً) النساء ٣١ (١٧١/٢)

ومن الشواهد التي تكرر ورودها قول عنترة:

ألا أيها الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي(٥٧/٧)

ورد هذا الشاهد عند تفسير قوله تعالى: (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً)الروم٢٤، حيث أورد الشطر الأول من البيت، مستشهداً به على أن الفعل مقدر بأن كما في قول من قال:وأورده البيت ... .

كما ورد عند تفسير قوله تعالى: (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) الصافات ٨(١٨٥/٧)،فقد أورد الشطر الأول للاستشهاد على أن الكلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم – أي الشياطين – وهو أن لا يسمعوا، ثم يحذف أن ويهدر عملها، كما في قول من قال: وذكره.

وورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)الزمر ٦٤،

وهنا أورد البيت كاملاً مستشهداً به على أن أصله تأمرونني أن أعبد، فحذف أن ورفع ما بعدها كما في قوله...وذكر البيت.

كما ورد –أيضاً– عند تفسير قوله تعالى: (لا تعبدون إلا الله) البقرة ٨٣، قال: وقيل تقديره:أن لا تعبدوا فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله. وذكر البيت (١٢٣/١).

وورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) المدثر ٦، قال: وقرئ بالنصب باضمار أن مع بقاء[٢٥] عملها تقول من قال..وذكر الشطر الأول.(٥٥/٩)، كما ورد –أيضاً– عند تفسير قوله تعالى:(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) المائدة٥٢، قال: قيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية قلبية، أي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم، فلما حذفت (أن) انقلب الفعل مرفوعاً كما في قول من قال: وذكر موضع الشاهد وهو الشطر الأول (٤٩/٣).

ومن الشواهد التي تكرر ورودها قول عبدالله بن الزبير:

رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعور هن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

حيث ورد هذا الشاهد مرة عند تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)، آل عمران ١٠٠

قال: وقوله تعالى (كافرين) مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله وذكر البيتين – أو حال من مفعوله، والأول أدخل... (٦٤/٢)

كما ورد –أيضاً– عند تفسير قوله تعالى: (لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) البقرة ١٠٩

قال: وقوله (كفاراً) مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير، أي يصيرونكم كفاراً كما في قوله....(١٤٦/١).

وتكرر الاستشهاد بالبيتين السابقين عند تفسير قوله تعالى:(وأنتم سامدون)النجم ٦١)

قال: أي لا هون أو مستكبرون،من سمد البعير إذا رفع رأسه، أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير، أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال... (١٦٦/٨)

ومن الشواهد التي تكرر الاستشهاد بها قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

إذ أورده عند تفسير قوله تعالى:(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) البقرة ٤.

فبعد أن تكلم على الآية وعلاقتها بالآية التي قبلها (الذين يؤمنون بالغيب) قال: ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجاً تحت المتقين، ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله... وذكر البيت (٣٢/١)

كما ورد عند تفسير قوله تعالى: (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) النساء ٣٨

قال رحمه الله:أي للفخار، وليقال ما أسخاهم وما أجودهم، لا لابتغاء وجه الله تعالى، وهو عطف على (الذين يبخلون) أو على الكافرين، وإنما شاركوهم في الذم والوعيد، لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم.

ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير الوصفي، فجرى التغاير الذاتي كما في قوله.. وذكر البيت، ولكن بلفظ: وليث الكتائب. (١٧٦/٢)

وأورده -أيضاً- عند تفسير قوله تعالى:(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) هود٢٤.

قال: الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يسير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والصمم، وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في قوله تعالى (والأصم) وفي قوله (والسميع) لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال...وذكره (١٩٨/٤).

كما ورد -أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: (والذين هم على صلاتهم يحافظون) المعارج ٣٤.

قال: وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات، وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول القائل... وذكره بلفظ: وليث الكتائب... (٣٤/٩)

وورد أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً * فالمدبرات أمراً)، قال ما ملخصه: إقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الاطلاق... أو أرواح الكفرة.... والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير الذاتي كما في قوله... وذكره (٩٥/٩).

الفصل الثاني

دراسة الوظائف المختلفة للشاهد الشعري عند أبي السعود

حظيت قضية الاستشهاد بالشعر باهتمام النحويين واللغويين منذ القديم، ونتيجة لهذا الاهتمام فقد ظهر رأيان: أحدهما يرى أنه يجوز الاستشهاد بكل شعر ورد عن شاعر عربي فصيح دون الالتفات إلى قضية الزمن الذي عاش فيه، والقبيلة التي ينتمي إليها.

والرأي الثاني: وهم الأكثرون الذين وقفوا من هذه القضية وقفه متشددة حيث قصروا الاحتجاج على فصحاء العرب حتى القرن الثاني الهجري في المدن، وحتى القرن الرابع من سكان البوادي، ولهذا فقد صنفوا الشعراء أصنافا خمسة:

١) جاهليون لم يدركوا الإسلام.
٢) مخضرمون أدركوا الجاهلية والإسلام.
٣) إسلاميون متقدمون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام.
٤) أمويون
٥) محدثون.

أما الصنفان الأول والثاني فيحتج بشعرهم بالإجماع، وأما الثالث والرابع فالمشهور أنه يحتج بشعرهم، وأما الصنف الخامس فإنه لا يحتج بشعرهم في اللغة والنحو، ويستشهد به في الأدب والبلاغة[٢٦].

ولا شك أن القرآن يعد أصلاً من أصول الاستدلال على أي قضية نحوية؛ لأنه كلام الله الذي هو أفصح الكلام، فإذا وجد لفظ غريب مشكل فإن العلماء يرجعون إلى الشعر لبيان ذلك الحرف الغريب من القرآن.

قال ابوبكر بن الأنباري فيما ذكره عنه السيوطي: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، قالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث ؟

قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال: (إنا جعلناه قرآناً عربياً) الزخرف٣، وقال: (بلسان عربي مبين) الشعراء ١٩٥[٢٧]، ولعل ذلك يفسر سبب وقوع المشاركة في بعض الشواهد الشعرية بين كتب النحو وكتب التفسير.

أما الشواهد الدلالية فإنها الغالب في كتب التفسير عامة، ولعل سبب ذلك راجع إلى أن كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم يحتاج إلى تحديد دلالاتها تحديداً دقيقاً لما يترتب على تلك الدلالات من الأحكام التي تهم المسلمين.

وتشير الروايات التي وردت عن بعضهم إلى ذلك الإحساس، وهذا ما يفسر الغرض من مقولة ابن عباس المشهورة: (إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنه ديوان العرب)[٢٨].

ومن خلال قراءتنا لعدد من صفحات التفسير، وجدنا أن أبا السعود قد حرص حرصاً شديداً على الاستفادة من علماء النحو واللغة، ويشهد لذلك كثرة الشواهد النحوية واللغوية التي استشهد بها في تفسيره.

أما النوع الثالث من الشواهد الشعرية فهو ما يمكن أن يطلق عليه شواهد اللهجات العربية، وإنما يوردها للاستشهاد بها على ثبوت لهجة من اللهجات العربية والتي بدروها توضح لفظة من الألفاظ أو قراءة من القراءات غير المشهورة.

وشواهد اللهجات الواردة في تفسير أبي السعود جاءت في مواطن مختلفة، وأماكن متعددة، وذلك حسب ما تقتضيه الحاجة، شأنها في ذلك شأن شواهد القراءات التي أتت متنوعة تبعاً لتلك القراءات التي قد يكون الاختلاف فيما بينها بالأصوات، أو في هيئة الكلمة، أو في التركيب، أو في الدلالة.

أما الشواهد البلاغية فإنما جئ بها أحياناً لتوضيح قضية بلاغية تضمنتها الآية المراد تفسيرها.

وأخيراً فإن هناك شواهد عامة لا تتصل بمسائل اللغة أو النحو، وإنما وردت قليلاً لتأييد قضية عامة.

وسوف أفرد لكل نوع من هذه الشواهد جزءاً مناسباً من هذه الصفحات كل بحسب وظيفته وتنوع الاستشهاد به، سواء من الناحية النحوية أو الصرفية أو البلاغية أو اللهجية، أو للاستدلال على قراءة قرآنية معينة، كما أنني سأشير إلى كل شاهد في موطنه، إن شاء الله تعالى.

أ - الشواهد النحوية والصرفية:

- ورد الشاهد الآتي للاستدلال على انه يجوز أن يكون لكان الناقصة مصدر، وهو قول الشاعر:

ببذلٍ وحلمٍ ساد في قومه الفتى وكونك إياه عليك يسير

حيث أورد هذا الشاهد عند تفسير قوله تعالى:(ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) البقرة ١٠.

قال: (الباء) للسببية أو للمقابلة، و(ما) مصدرية داخلة في الحقيقة على (يكذبون) وكلمة (كانوا) مقحمة لإفادة دوام كذبهم وتجدده، أي: بسبب كذبهم أو بمقابلة

كذبهم المتجرد المستمر الذي هو قولهم: (آمنا بالله وباليوم الآخر)، وهم غير مؤمنين، فإنه إخبار بإحداثهم الإيمان فيما مضى لا إنشاء الإيمان، ولو سلم فهو متضمن للإخبار بصدوره عنهم، وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الإذعان والقبول قطعاً.

ويجوز أن يكون محمولاً على الظاهر بناءً على رأي من يجيز أن يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر... وذكره (٤٢/١).

• وعند تفسير قوله تعالى: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) البقرة١٧.

قال: (وترك) في الأصل بمعنى طرح وخلّى، وله مفعول واحد، فضمن معنى التصيير مجرى أفعال القلوب.

قال: فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم (٥١/١)

وجمع بين اللغة والنحو عند تفسيره لقوله تعالى:(فاستجاب لهم ربهم)آل عمران١٩٥.

حيث قال: الاستجابة بمعنى الإجابة، ثم نقل عن تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ،المتوفى سنة ٥٠٥هـ، قوله: الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المسئول، وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله:

فلم يستجب له عند ذاك مجيب

قال: وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيّزه من الأدعية. (١٣٣/٢)

وعند تفسير قوله تعالى: (كتاب الله عليكم) النساء ٢٤.

قال: (كتاب الله) مصدر مؤكد، أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتاباً، وفرضه فرضاً وقيل: منصوب على الإغراء بفعل مضمر أي: الزموا كتاب الله، و (عليكم) متعلق إما بالمصدر، وإما بمحذوف وقع حالاً منه.

وقيل: هو إغراء آخر مؤكد لما قبله ق، حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه، أو بنفس "عليكم " على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الإغراء كما في قوله:

يا أيها المائح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمد ونكا. (٢/١٦٤).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وندخلكم مدخلاً كريماً) النساء ٣١.

قال: أي حسناً مرضياً، أو مصدر ميمي، أي إدخالاً مع كرامة، وقرئ بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر، ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور، أي ندخلكم فتدخلون مدخلاً، أو دخولاً كريماً كما في قوله:

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف[٢٩]

أي لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ. (٢/١٧١)

وفي معرض مناقشته للعامل الذي نصب (يوم) به في قوله تعالى: (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) هود٨.

قال: ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه... إلى أن قال: قال أبو حيان: وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليه، ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة، وقول الشاعر:

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبياً في الحنا لست أقدم.(٤/١٨٩)[٣٠] .

وعند تفسير قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) الفرقان ٦٩.

قال (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججاً (٦/٢٣٠)

وعند تفسير قوله تعالى: (أمهلهم رويداً) الطارق ١٧.

قال: إما مصدر مؤيد لمعنى العامل، أو نعت لمصدره المحذوف، أي: أمهلهم إمهالاً رويداً، أي قريباً كما قاله ابن عباس- رضي الله عنهما - أو قليلاً كما قالهُ قتادة.

قال أبو عبيدة: هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد:

كأنها ثمل تمشي على رود .....

أي على مهل (٩/١٤٢).

ب - الشواهد اللغوية والدلالية:

كثيراً ما يستعين المفسرون بالشواهد الشعرية لتوضيح لفظ من الألفاظ أو معنى من المعاني وهذا أمر طبعي، إذ لا يمكن للمفسر أن يعتمد على المعاجم اللغوية لأن مفرداتها جافة، بل إن المعجم يعطيك المعنى الحرفي للكلمة، بينما الشاهد الشعري يوضح المعنى المراد من خلال السياق، وهذا يعطي المفسر دقة في تحديد الدلالة الحقيقية للفظة المفردة، وهو ماجرى عليه أبو السعود في تفسيره، وهذا ما سوف نتبينه من خلال الأمثلة الآتية:

قال رحمه الله عند تفسير البسملة: والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأعجاز المبينة الأوائل على السكون قد أدخلت عليها عند الابتداء همزة، لأن من

دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن، ويشهد له تصريفهم على أسماء وسُـمَيّ وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال:

والله أسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا (٩/١).

كما ناقش الإمام أبو السعود اللغات الشاذة، كقوله عند تفسير قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) البقرة ٨.

وأصل ناس أناس، كما يشهد له إنسان وأناسي وإنس، حذفت همزته تخفيفاً كما قيل: لوقة في ألوقة، وعوض عنها حرف التعريف، ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما في قوله:

إن المنايا يطّلعـــــن على الأناس الآمنينا

فشاذ، سمّوا بذلك لظهورهم، وتعلق الأناس بهم، كما سمّى الجن جناً لا جتنائهم(٣٩/١)

٢) وعند تفسيره لقوله تعالى: (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) هود ٨٥.

قال: إن (العثي) يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد، وقيل البخس: المكس، كأخذ العشور في المعاملات، قال زهير بن أبي سلمى:

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم.

والعثي في الأرض: السرقة، وقطع الطريق والغارة، وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح، كما فعله الخضر – عليه السلام – من خرق السفينة وقتل الغلام، وقيل معناه: ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم (٢٣٢/٤).

٣) وعند تفسير قوله تعالى: (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئا . .) يوسف ٣١، أي: ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد، أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب، لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين، ولذلك نهي الرجل أن يأكل متكئاً، وقيل: متكأ طعاماً من قولهم: إتكأنا عند فلان أي طعمنا، قال جميل:

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله (٤/٢٧١) [٣١] .

٤) وعند تفسير قوله تعالى: (فلما رأينه أكبرنه) يوسف ٣١.

قال: ((أكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق، وجماله الرائع الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.. وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء، وقيل معنى (أكبرن): حضن، والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام – على حذف اللام، أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق(٤/٢٧٢)[٣٢]

ج – شواهد القراءات القرآنية:

القراءات : جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ، يقال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآنا بمعنى تلا، فهو علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم، من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف،[٣٣]،ولا شك أن نزول القرآن على سبعة أحرف، فيه مظهر من مظاهر رحمة الله وتخفيفه على عباده، وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية، بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية من كل جيل وقبيل ، حتى ينطقوا به لينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم، برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات، وتنوع في

الخصائص والميزات، ولا شك أن علم القراءات يشاهد فيه القارئ عرضاً عاماً لمنتجات أفكار كثيرة، ويشهد جيشاً جراراً من مذاهب وآراء، كلها تحاول العمل لخدمة هذا العلم الجليل، وإظهار الحق والدفاع عن عرين القرآن والإسلام واللغة[٣٤]

١) قال الإمام أبو السعود عند تفسير قوله تعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) هود ١٥.

وقرئ (يوف) على الإسناد إلى الله – عز وجل – وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع أعمالهم، وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضياً[٣٥] كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم.(١٩٣/٤)

٢) وعند تفسير قوله تعالى: (نزلاً من عند الله)، آل عمران ١٩٨.

قال وقرئ بسكون الزاي[٣٦] وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما، قال أبو الشعر الضبي:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا (١٣٥/٢)

٣) وعند تفسير قوله تعالى: (فإن آنستم منهم رشداً) النساء ٦.

قال: أي شاهدتم وتبينتم، وقرئ أحستم بمعنى أحسستم[٣٧]، كما في قول من قال:

خلا أن العتاق من المطايا أحسن به وهن إليه شوس (١٤٥/٢)

٤) وقال عند تفسير قوله تعالى: (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض) النمل ٢٤/٢٥.

والمعنى فهم لا يهتدون على أن يسجدوا لله تعالى، وقرئ: ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء، والمنادى محذوف، أي ألا يا قوم اسجدوا [٣٨] كما في قوله:

ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر (٦/٢٨١).

٤) وعند تفسير قوله تعالى (فاذكروا اسم الله عليها صواف) الحج ٣٦.

قال: أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرئ صوافن من صَفَن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة، لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث، وقرئ صوافنا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف، وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله – عز وجل – وصاف على لغة من يسكن الياء على الإطلاق[٣٩]، كما في قوله:

..... لعلي أرى باق على الحدثان (٦/١٠٧)

د – شواهد القضايا البلاغية:

تحسن الإشارة –قبل البدء بسرد بعض الشواهد التي استشهد بها الإمام أبو السعود لإثبات قضية من القضايا البلاغية– إلى أن العلوم العربية وعلوم القرآن كانت مختلطة حتى القرن الثالث الهجري [٤٠]، وظلت كذلك في بعض جوانبها حتى الآن، وخاصة فيما يتعلق بإعجاز القرآن اللغوي، فكتب اللغة القديمة لم تكن تفصل مسائل النحو عن مسائل علم اللغة ومعاجم العربية وكتب البلاغة والتفسير: لم تكن تفصل علم البلاغة عن فروعه الثلاثة: علم الإعجاز، وعلم النقد الأدبي، والدراسات

الشعرية، وكل أولئك كانوا يبدون ملاحظات مختلفة عن بلاغة القرآن وصوره البيانية .

وكلام الله – سبحانه– أبلغ الكلام، شهد بذلك العدو والصديق، ولعل مقولة الوليد بن المغيرة خير دليل على ذلك. روى ابن هشام في السيرة قول الوليد بن المغيرة: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصلة لَعَذَق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف بأنه باطل [٤١].

وسأضرب بعض الأمثلة التي وردت في ثنايا التفسير، واستشهد بها المؤلف على بلاغة القرآن وإعجازه:–

١) قال أبو السعود عند تفسيره لقوله تعالى: (ولهم عذاب أليم) البقرة ١٠، أي مؤلم، يقال ألِمَ وهو أليم، كوجع وهووجيع، وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله:

..... تحية بينهم ضرب وجيع (١/٤٢).

٢) وقال عند تفسير قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) البقرة ١٦.

والضلالة: الجور عن القصد، والهدى: التوجيه إليه، وقد استعير الأول للعدول عن الصواب في الدين، والثاني للاستقامة عليه، والإشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها به لا بذلها لتحصيلها كما قيل، وإن كان مستلزماً له، فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو معتبر في عقد البيع، ثم استعير لأخذ شيء بإعطاء ما في يده عيناً كان كل منهما او معنى لا للإعراض عما في يده محصلاً به غيره كما قيل، وإن استلزمه لما مَر سِرُّه، ومنه قوله:

أخذت بالجمة رأساً أزعرا بالثنايا الواضحات الدردرا [٤٢]

وبالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا (١/٤٨)

٣) وعند تفسير قوله تعالى: (فما ربحت تجارتهم) البقرة ١٦.

قال أبو السعود: يقال: ربح فلان في تجارته، أي استشف فيها وأصاب الربح، وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها – بناء على التوسع المبنى على ما بينهما من الملابسة، وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسارة وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم، وإيرادهما إثر الإشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة، وتصوير لما فاتهم من فرائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشى عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير، ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى، وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة، إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها كما في قولك: رأيت أسداً وافي البراثن، فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير الشجاع، وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراثن أيَّ معنى آخر، بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له، ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة كما في قوله:

فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشعش في وكريه جاش له صدري [٤٣] (٤٩/١).

٤) وعند تفسير قوله تعالى: (وإذا أظلم عليهم قاموا) البقرة ٢٠.

قال: أي : خفي البرق واستتر، والمظلم وإن كان غيره لكن لما كان الإظلام دائراً على استتار أسند إليه، مجازاً تحقيقاً لما أريد من المبالغة في موجبات تخبطهم، وقد جوز أن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل، ومنه ما جاء في قول أبي تمام:

هما أظلما حالي ثمة أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب (٥٥/١).

الخاتمة:

لعل هذه الدراسة قد كشفت لنا بوضوح مدى أهمية الشاهد الشعري في كتب التفسير، سواء من الناحية المعجمية أو الدلالية أو البلاغية أو النحوية، فلا يكاد مفسر من المفسرين إلا ويعتمد كثيراً أو قليلاً على إيراد عدد من تلك الشواهد ليدلل بها على قضية من القضايا، نحوية كانت أم صرفية أم بلاغية أم دلالية.

ولقد ظهرت لنا شخصية أبي السعود في كثير من تلك القضايا التي كان يناقشها آخذاً بعضاً منها ومفنداً البعض الآخر، وهذا يدل على سعة علمه وإلمامه الواسع بعلوم اللغة ومستوياتها المختلفة، وأكبر دليل على ما قلناه إفادته – رحمه الله – من عدد كبير من المصادر اللغوية والنحوية.

ولعل ما ظهر لنا من خلال البحث من بعض الأخطاء لا يقلل من شأن هذا العالم الفذ، ولا من شأن تفسيره، لاسيما وقد تلقاه العلماء والمختصون بالقبول، وأقبل عليه طلاب العلم ينهلون من معينه، فجزاه الله عنا خيراً ونفع بكتابه كل طالب للعلم..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الهـــــوامـش

١) أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً. انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٣/٢.

٢) انظر الشعر الجاهلي للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، صـــ٩٥.

٣) الأيام: الوقائع التي حدثت في تلك الأيام، وفي القرآن الكريم:(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله) سورة إبراهيم آية (٥).

قال الزمخشري : أي انذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم، ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها، أهـــ. الكشاف٢/٣٦٧.

٤) شرح القصائد العشر للإمام التبريزي ، ضبطه وصححه : عبدالسلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م ، صـــ٢٦٢.

٥) انظر العصر الجاهلي / للدكتور شوقي ضيف، صـــ ١٣٤

٦) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٣٥٦/١.

٧) انظر خزانة الأدب، ٨/١.

٨) انظر الإتقان، ٣٢٧/١.

٩) المصدر السابق، ٣٢٧/١-٣٢٨.

١٠) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ٢٤٧/١.

١١) انظر مقدمة تفسير أبي السعود، ٤/١.

١٢) التفسير والمفسرون،٣٤٩/١.

١٣) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي، ٣٩٨/٨، وكشف الظنون لحاجي خليفة، ٦٥/١، والاعلام للزركلي ٥٩/٧.

١٤) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي ، دار المعارف القاهرة، صـــ٤٣٢..

١٥) وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة بل الأربعة عشر. انظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر صـــ ٣٩٨،وقد نسبها أبو حيان إلى الجحدري. راجع البحر المحيط، ١٢٥/٨.

١٦) ديوان النابغة الذبياني (سلسلة ذخائر العرب) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف –مصر/ القاهرة– ص٣ صـــ٦٧.

١٧) انظر ديوانه، صـــ٢٤٦.

١٨) وهي قراءة الإمام نافع وأبي جعفر المدنيين: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، ٢٤٩/٢.

١٩) انظر ديوان الفرزدق، ٦٢/٢/ دار صادر – بيروت – لبنان .

٢٠) انظر شرح ديوان النابغة، صـــ ٥٢

٢١) انظر ضحى الإسلام، صـــ١٩٠–صـــ٢٠١.

٢٢) انظر شرح ابن عقيل، ٦٨/٢، رقم الشاهد ٢٣٢.

٢٣) انظر ديوانه، ٢٦/٢، والخزانه، ٢٤٧/٢، واللسان، ٣٨٢/٨ مادة " ودع" ٣١/٩ (جلف)، والخصائص ٩٩/١، وبلا نسبة في الإنصاف، صـــ١٠٩، ورواية الشاهد في الخصائص :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف

٢٤) انظر شرح الشواهد للعيني، ١٨٤/١.

٢٥) وهي قراءة الحسن والأعمش – انظر البحر المحيط، ٣٧٢/٨ وقرأ الحسن – وهو من القراء الأربعة بعد العشرة بالجزم بدلاً من الفعل قبله. إتحاف فضلاء البشر، صـــ٤٢٧.

٢٦) انظر الخزانة، صـــ٥،٦.

٢٧) انظر الإتقان، ١١٩/١.

٢٨) انظر الإتقان، ٣٥٦/١.

٢٩) ديوان الفرزدق ، ج٢،صـــ٢٦

٣٠) راجع البحر المحيط، ٢٠٦/٥، وفيه : كنت أبياً في الخفا....

٣١) انظر الكشاف ٣١٦/٢ وفتح القدير ٢١/٢.

٣٢) وهو من شواهد الزمخشري في الكشاف، ٣١٧/٢ ،وراجع فتح القدير ٢٢/٢.

٣٣) انظر لمحات من علوم القرآن واتجاهات التفسير، ١٠٧، محمـــد الشـــباع ، ط/ المكتـــب الإسلامي بيروت ١٣٩٤هـــ والقراءات وأثرها في علوم العربية صـــ٩، للدكتور محمد سالم محيسن، مكتبات الكليات الأزهرية ١٤٠٤هـــ .

٣٤) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١٣٧/١ ، ط / عيسى البابي الحلبي (بدون)

٣٥) قراءة الجمهور بنون العظمة وبقية القراءات التي ذكرها أبو السعود وغيره قراءات شاذة، انظر اتحاف فضلاء البشر، صـــ ٢٢٥، والبحر المحيط، ٢١٠/٥، ورح المعاني مجلد، ٢٣/٤.

٣٦) قرأ بذلك لغة الحسن والمطوعي وهي قراءة شادة، اتحاف فضلاء البشر، صـــ١٨٤، وانظر البحر المحيط، ١٤٧/٣.

٣٧) وهي لغة لقبيلة سليم ونسبها أبو حيان إلى ابن مسعود – رضي الله عنه – وهي شاذة، انظر البحر، ١٧٢/٣، والكشاف حيث ذكر الشطر الثاني موضع الشاهد (٥٥٢/١)

٣٨) قال الشيخ الدمياطي : واختلف في (ألايسجدوا) فالكسائي وكذا رويس – الراوي عن يعقوب الحضرمي– وأبو جعفر بهمزة مفتوحة وتخفيف اللام على أن (ألا) للاستفتاح، ثم قيل يا حرف تنبيه، وجمع بينه وبين (ألا)تأكيدا، وقيل للنداء والمادي محذوف، أي ياهؤلاء أو يا قوم... اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، صـــ٣٣٦،

وانظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، صـــ٢٣٢، وراجع البحر المحيط، ٦٨/٧.

٣٩) وكلها شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء السبعة أو العشرة وهي لغات، وراجع الكشاف للزمخشري، ١٤/٣.

٤٠) انظر المجاز في البلاغة العربية، صـــ٤٦.

٤١) السيرة النبوية لابن هشام، ٢٨٩/١، وراجع السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، ٣٠٩/١.

٤٢) البيتان ذكرهما الزمخشري في الكشاف للاستشهاد بهما على أن الإشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر أهـــ، ١٩١/١

٤٣) البيت ذكره الزمخشري في الكشاف، ١٩٣/١. وراجع كلام ابن المنير الاسكندري في تعليقه على الكشاف، نفس الجزء والصفحة.

المراجـــع

١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطي الشهير بالبناء... تصحيح وتعليق على محمد الضباع ط / المشهد الحسيني – القاهرة ١٣٥٩هـ.

٢) الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم العربية، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م و ط / المشهد الحسيني، الأولى ١٣٨٧هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣) الأعلام للزركلي (قاموس تراجم) دار العلم للملايين- بيروت – لبنان ط/ السادسة ١٩٨٤م.

٤) الإنصاف في مسائل الخلاف / أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر- الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.

٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط/ دار الفكر – بيروت – لبنان.

٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لشيخنا عبد الفتاح القاضي – رحمه الله – ط / مصطفى البابي الحلبي، مصر – الأولى عام ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

٧) البلاغة العربية تطور وتاريخ، الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف.

٨) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون – الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م.

٩) الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار – الطبعة الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

١٠) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر – بيروت – لبنان.

١١) ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت – لبنان.

١٢) ديوان لبيد بن أبي ربيعة- دار صادر، بيروت – لبنان.

١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي البغدادي ط/ دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٤) السيرة النبوية / ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأنبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار القلم – بيروت – لبنان.

١٥) السيرة النبوية – في ضوء القرآن والسنة – للدكتور محمد أبو شهبة. دار القلم – دمشق، ط / الاولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م

١٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر للطابعة والنشر.

١٧) شرح ديوان النابغة الذبياني / منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

١٨) شرح الشواهد للعيني بها مش شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق الدكتور: محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٠) شرح المعلقات السبع / القاضي الإمام أبو عبدالله الحسين الزوزني، مكتبة المعارف – بيروت – الطبعة الخامسة- ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢١) الشعر الجاهلي / الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني- بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

٢٢) ضحى الإسلام/ الأستاذ/ احمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – الطعبة الأولى

٢٣) ظهر الإسلام / الأستاذ: احمد أمين، القاهرة، ط(الأولى)، ١٩٥٨م.

٢٤) العصر الجاهلي / الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة السابعة ١٩٧٩م

٢٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني – دار الفكر – بيروت – لبنان –، ط/ الثالثة ١٣٩٣هـ

٢٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للإمام الزمخشري، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٢٧) كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، دار العلوم الحديثة، بيروت – لبنان.

٢٨) لسان العرب / الإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٢٩) المجاز في البلاغة العربية / الدكتور: مهدي صالح السامرائي، دار الدعوة – حماة – سورية، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٣٠) النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري. ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان توزيع دار الباز – مكة المكرمة.

دستور القضاء

رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهم-

الدكتور/ صالح بن عبد الله الظبياني

الأستاذ المشارك في قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون

جامعة صنعاء

دستور القضاء

رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما –

د. صالح بن عبدالله الطيباني
كلية الشريعة – جامعة صنعاء

الحمد لله رب العالمين القائل : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)) سورة النساء آية ٦٥، والقائل : ((وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)) سورة المائدة ٤٩.

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام العادلين وقدوة المقسطين وآله وصحبه وبعد :

فإن ولاية القضاء من أجل الولايات وأعظمها شأناً، وهي من أجل المناصب خطراً وأشرفها قدراً، وهي ضرورة من ضرورات الحياة، والحاجة إليها داعية على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب، ولذا فقد اعتنى الفقهاء بدراسته وتدريسه حيث جاء الإسلام بأصوله العامة، وقواعده الكلية، وأحكامه التفصيلية، واستنبط الفقهاء الأحكام الكثيرة في شتى نواحيه وسائر ضروبه، فتكون من ذلك نظام للقضاء يفوق أرقى نظم القضاء القديمة والحديثة دقة وعدالة ووفاء بمصالح الأمم والشعوب، أفراداً وجماعات، والناس بين قاض ومتقاض وكل منها يحتاج لمعرفة القضاء، فالقاضي يحتاج إلى معرفة طرق القضاء وكيفيته والمتقاضي يحتاج إلى معرفة

أصول التقاضي والطرق التي يتبعها للوصول إلى حقه، وعلم القضاء من أهم العلوم الشرعية من الناحية العلمية والعملية..

ورسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري- رضي الله عنهم - تمثل إحدى مواطن العناية بالقضاء، وقد سماها بعضهم بدستور القضاء لما تحمله من أحكام، وتشتمل عليه من توجيهات، وإن شكك فيها البعض إلا أن الإمام ابن القيم – رحمه الله- أبرز معالمها من خلال شرحه لها في جزء ونصف من كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين).

ونظراً لما قيل في هذه الرسالة فقد أحببت أن أسهم في إجلاء الأمر حول مواطن ورود الرسالة وسندها ومتنها، إظهاراً لعناية أئمتنا بالقضاء، ورداً على المشككين في صحتها.. سائلاً الله تعالى أن يوفقني لكل خير..

أولا : مواطن ورود الرسالة..

وردت هذه الرسالة في :

١) عيون الأخبار لإبن قتيبة، ٦٦/١.

٢) البيان والتبيين للجاحظ، ٦٩/٢ ،عن أبي يوسف وسفيان بن عيينه..

٣) الكامل للمبرد صـ٩..

٤) الأحكام السلطانية للماوردي، صـ١١٩-١٢١.

٥) مقدمة ابن خلدون، ١٨٤/٤.

٦) المبسوط للسرخسي، ٦٠/١٦-٦٥.

٧) السنن الكبرى للبيهقي، ١٨٢/١٠، عن أحمد بن حنبل..

٨) أخبار القضاة لوكيع، ٧٠/١..

٩) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، صـ٥١..
١٠) سنن الدار قطني، صـ٥١٢ ،عن أحمد بن حنبل.
١١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي، صـ١٣٥.
١٢) الـــروض النضير للسياغي، ١١/٤.
١٣) إعجاز القرآن للباقلاني على هامش الاتقان للسيوطي، ١٨٧/١.
١٤) العقد الفريد لإبن عبد ربه، ٨٦/١.
١٥) صبح الأعشى للقلقشندي..
١٦) أميل ثيان، ١١٣,١٠٦,٢٣/١..
١٧) أدب القضاة للخصاف..
١٨) تبصرة الحكام لابن فرحون، ٢١/١..
١٩) نهاية الأرب للنويري..
٢٠) بدائع الصنائع للكاساني، ٩/٧..
٢١) موطأ الإمام مالك، صـ٧٢٠..
٢٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني .
٢٣) المعتمد لأبي الحسين البصري..
٢٤) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ٤٠/٦-٤١..
٢٥) الأم للإمام الشافعي، ٧٨,٣٥,١١/٧..
٢٦) النهاية لإبن الأثير، مادة "أساس"..

ثانيا : متن الرسالة :

- قال أبو عبيد [١] : حدثنا كثير بن هشام [٢] عن جعفر بن[٣] برقان، وقال أبو نعيم [٤] عن جعفر بن برقان عن معمر البصري [٥] عن أبي العوام[٦].

---

(١) القاسم بن سلام البغدادي، روى عن هشام وإسماعيل بن عياش وإسماعيل بن جعفر، ويحيى القطان وابن المبارك ووكيع وابن عيينة.. وغيرهم، وروى عنه سعيد بن أبي مريم المصري، وهو من شيوخه، توفى سنة ٢٢٤هـ، قال ابن معين ثقة، وقال الآجري عن أبي داود ثقة مأمون، وقال السلمي عن الدار قطني ثقة أمام جبل، وقال الحاكم هو الإمام المقبول عند الكل (تهذيب التهذيب ٨/٣١٥).

(٢) كثير بن هشام الكلابي أبو سهل الرقي نزل بغداد، روى عن جعفر بن برقان وهشام الدستوائي والمسعودي وغيرهم، وعنه أحمد وإسحاق وابن معين وإبراهيم بن موسى وأبو خيثمة وخليفة بن خياط وأبوبكر وعثمان ابنا أبي شيبه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة، وقال العجلي: ثقة صدوق يتوكل للتجار ويحترف من أروى الناس لجعفر بن برقان، وقال الآجري عن أبي داود ثقة وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي لا بأس به، وقال ابن سعد: كان ثقة صدوقاً ذكره ابن حبان في الثقات، توفى سنة ٢٠٧أو ٢٢٨هـ (تهذيب التهذيب ٨/٤٢٩-٤٣٠).

(٣) جعفر بن برقان (بضم الموحدة وسكون الراء) الكلابي مولاهم أبو عبدالله الجزري الرقي، قدم الكوفة، روى عن يزيد بن لاحكم والزهري وعطاء وميمون بن مهران وحبيب بن أبي مرزوق ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، وعنه ابن المبارك وأبو خيثمة الجعفي وابن عيينه ووكيع وكثير بن هشام ومعمر بن راشد وأبو نعيم قال عبدالله بن أحمد عن أبيه إذا حدث عن غير الزهري فلا بأس به، وفي حديث الزهري يخطيء وقال الميموني وجعفر ثقة ضابط لحديث ميمون وعن ابن معيد كان أمياً وكان ثقة صدوقاً قيل إنه كان مجاب الدعوة وقال النسائي:

• وقال سفيان بن عيينة [٧] : "ثنا" إدريس[٨] أبو عبدالله بن إدريس، قال : أتيت سعد بن أبي بردة[٩] فسألته عن رسل عمر بن الخطاب [١٠] التي كان

(٤) الفضل بن دكين وهو لقب واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي مولى آل طلحة أبو نعيم الملائي الكوفي الأحول، وروى عن الأعمش والثوري ومالك بن أنس وجعفر بن برقان وغيرهم روى عنه البخاري فأكثر، وروى هو والآخرون بواسطة يوسف بن موسى القطان ومحمد بن عبدالله بن نمير وأبي بكر بن أبي شيبة وابن المبارك ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل..

(٥) معمر بن راشد الأزدي الحدائي مولاهم أو عروة بن أبي عمرو البصري، سكن اليمن، روى عنه ثابت البناني وقتادة والزهري وعاصم الأحول، وعنه شيخه يحيى بن أبي كثير وأبو إسحاق البيعي وأيوب وعمرو بن دينار، قال أبو حتام ما حدث معمر بالبصرة فيه أغاليط، وهو صالح الحديث، وقال النسائي ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات توفى في ١٥٣هـ. (تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣-٢٤٤).

(٦) عمران (بفتح العين) بن دوار أبو العوام القطان البصري روى عن قتادة ومحمد بن سيرين وأبي جمرة الضعي وأبي إسحاق الشيباني، وأبان بن أبي عياش ومعمر بن راشد وغيرهم، وعنه ابن مهدي وأبو داود الطيالسي، قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: أرجو أن يكون صالح الحديث، وقال الدوري عن ابن معين ليس بالقوي، وقال النسائي : ضعيف، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم: صدوق قال الترمذي قال البخاري: صدوق يهم (تهذيب التهذيب ٨/١٣١-١٣٢)..

(٧) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي سكن مكة، روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبيعي وزياد بن علاقة والأسود بن قيس ويزيد بن أبي بردة وعنه الأعمش وابن جريج وشعبة والثوري ومسعر، وهم من شيوخه والشافعي ويحيى القطان وابن مهدي، ولد سنة ١٠٧هـ، قال فيه الشافعي لو لا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، توفي سنة ١٩٨هـ.

يكتب بها إلى أبي موسى الأشعري[١١]، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة[١٢] فأخرج إليه كتاباً[١٣] فرأيت في كتاب منها. رجعنا إلى حديث أبي العوام قال : كتب عمر إلى أبي موسى : أما بعد ؛ فإن القضاء فريضة

---

(٨) إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري، أخو داود وأبو عبدالله، روى عن أبيه وعمر بن مرة وأبي إسحاق السبيعين وعنه ابنه عبدالله والثوري ووكيع، وقال ابن معين والنسائي ثقة، وقال الأجري سألت أبا داود عنه فقال : ثقة، سمعت أحمد يقول قال ابن إدريس قال لي شعبة كان أبوك يفيدني ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب: ١/١٩٥)، (سير أعلام النبلاء ٩/٤٢).

(٩) لم أجد من يسمى بسعد ولعل اسمه سعيد كما في رواية البيهقي(قال : أخرج إلينا سعيد بن أبي بردة كتاباً) سعيد بن أبي بردة، واسمه عامر بن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري الكوفيين، روى عن أبيه وأنس بن مالك وأبي وائل وأبي بكر بن حفص وعنه قتادة وأبو إسحاق الشيباني وشعبة، وثقه ابن معين وابن حبان توفى سنة ١٣٨هـ.

(١٠) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن قرط بن رازح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أسلم في السنة السادسة من النبوة وعمره ٢٧سنة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، الخليفة الثاني، ورد في فضله أحاديث توفي سنة ٢٣هـ شهيداً طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، (تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ١٠٨-١١٠).

(١١) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، حدث عنه بريدة بن الحصيب وأبو أمامة الباهلي وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك، معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ استعمله النبي على زبيد وعدن وولي أمر الكوفة، توفي في ٤٢ أو ٤٣هـ (سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠).

(١٢) حارث، ويقال عامر بن أبي موسى، ولد سنة ٢٣هـ حدث عن أبيه وعلي وعائشة وأسماء بن عميس، وحدث عنه سعيد ويوسف والشعبي والقاسم، قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ١٠٣هـ (سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٣ طبقات ابن سعد ٦/٢٦٨)..

(١٣) في أعلام الموقع

- محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك[١] فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس[٢] من مجلسك، وفي وجهك[٣] وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس[٤] ضعيف من عدلك[٥].

البينة على المدعي واليمين على من أنكر [٦].

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً [٧]..

ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فإضرب له أمداً [٨] ينتهي إليه، فإن بينه أعطيته بحقه[٩]، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ للعذر وأجلى للعماء[١٠].

---

(١) في العقد الفريد إذا أدلى إليكم الخصم، وفي صبح الأعشى، وانفذ إذا تبين لك، وفي المبسوط فافهم إذا أدلي إليك الخصمان.

(٢) في أخبار القضاة (وأس بين الاثنين) وفي المبسوط آس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك.

(٣) في نهاية الأرب، والكامل كلمة (وعدلك).

(٤) في أخبار القضاة ولا ييأس وضيع ودرما ق ضعيف..

(٥) في البيان والتبيين ولا يخاف ضعيف من جورك، وكذا في المبسوط والعقد الفريد.

(٦) عند وكيع البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وكذا في العقد الفريد والبيان والتبيين.

(٧) في أخبار القضاة : إلا ما أحل حراماً أو حرم حلالاً.

(٨) في البيان والتبيين اجعل للمدعي أمداً ينتهي إليه.

(٩) في أخبار القضاة: فإن أحضر بينة إلى ذلك الأجل أخذ بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء.

(١٠) في رواية الجاحظ: فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمي وأبلغ في العذر، وعند محمد حميد الله: وإلا استحللت عليه القضاء.

ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم[١] فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك ، أن تراجع فيه الحق [٢] فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة [٣] فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالنيات والأيمان[٤].

(١) في المبسوط: ولا يمنعنك قضاء بالأمس راجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك أن تراجع الحق.ز(وفي العقد الفريد: ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك وهديت لرشد أن ترجع عنه فإن الحق قديم).. (وفي الكامل: فلا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم لا يبطله شيء والرجوع إليه خير من التمادي في الباطل).

(٢) عند وكيع أن تراجع عنه، وعند غيره بألفاظ: وأن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم .. أو فإن الحق لا يبطله شيء، أو : مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، أو : إعلم إن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ..(وفي العقد الفريد: والرجوع إليه خير من التمادي في الباطل).

(٣) وردت بهذه الصيغة، ولكن بتقديم بعضها على بعض عند البعض.. (وفي المبسوط: والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا ظنيناً في ولاء أو قرابة) (وفي المقدمة : أو ظنيناً في نسب أو ولاء)..

(٤) في أخبار القضاة: إن الله تبارك وتعالى تولى منكم السرائر، ودرا عنكم الشبهات.. (وفي مقدمة ابن خلدون:فإن الله سبحانه عفا عن الإيمان ودرأ بالبينات)..(وعند ابن قتيبة وغيره: فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات).

ثم الفهم الفهم فيما أولي إليك[١] ومما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، واشبهها بالحق[٢]، وإياك والغضب والقلق [٣]، والضجر والتأذي بالناس، والتنكر عند الخصومة، أو الخصوم (شك أبو عبيد): فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس[٤]،ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله..

(١) في مجموعة الوثائق السياسية: الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في قرآن ولا سنة.. وفي بعض المصادر: عما يتلجلج "وعند وكيع": الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك وربما قال في نفسك، ويشكل عليك مما لم ينزل في الكتاب ولم تجربه سنة.

(٢) في أخبار الثقات: واعرف الاشباه والأمثال ثم قس الأمور بعضها على بعض، فانظر اقربها إلى الله وأشبهها بالحق فاتبعه واعند إليه، وعند غيره كما هو مثبت بالنص..

(٣) في أخبار القضاة: والقلق.. والغضب: نوع من القلق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد.

(٤) في العقد الفريد : فإنه من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره.. وفي البيان والتبيين: فإن من تخلص نيته فيما بينه وبين الله -تبارك وتعالى- ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله، وورد فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله.. وعند الجاحظ: ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه هتك الله ستره وأبدى فعله.. وعند أبن قتيبة: ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانه الله..

فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ماكان خالصاً، فماظنك بثواب عند الله في عاجل[١] رزقه، وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله، قال أبو عبيدة: فقلت لكثير هل أسنده جعفر قال: لا..

هذه الرسالة حظيت بقبول من العلماء والفقهاء، وهم متفقون في جوهر الرسالة، ولا يختلفون إلا في بعض الألفاظ، إما بتقديم بعضها على بعض أو بوضع لفظة مرادفة بدلاً عن الأخرى..

ثالثا : السند" وردت الرسالة بأسانيد إليك تفصيلها":

❖ في أخبار القضاة لوكيع:

قال وكيع: حدثني على بن محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب،قال : حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا إدريس أبو عبدالله بن إدريس قال: أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة- وأخرج إليَّ كتباً فرأيت في كتاب منها[٢]..

وقد علق محقق الكتاب، الأستاذ/ عبدالعزيز مصطفى المراغي: إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان، إبراهيم صاحب سفيان بن عيينة، كما قال الذهبي في ميزان الاعتدال نقلاً عن يحيى بن معين: ولكن ابن حنبل كما حدث عنه ابنه عبدالله يقول: كأن سفيان الذي يروي عنه إبراهيم بن بشار ليس بسفيان بن عيينة[٣] أ.هـ.

---

(١) أغلب الروايات هكذا، وعند وكيع فما ظنك بثواب غير الله في عاجل دنيا وآجل أخرى.

(٢) أخبار القضاة.

(٣) المصدر السابق.

❖ المبسوط:

عن أبي بكر الهذلي عن أبي المليح عن أسامه الهذلي، أن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه كتب إلى إبي موسى الاشعري رضي الله عنه[١].

❖ الدارقطني:

حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد النعماني، حدثنا عبدالله بن عبدالصمد بن أبي خداش، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليـــح الهذلي، قال: كتب عمر بن الخطاب..الخ.

قال الشارح: في إسناده عبيد الله بن أبي حميد وهو ضعيف[٢].

❖ البيهقي في المعرفة:

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بـــن إسحاق الصنعاني، حدثنا محمد بن عبدالله بن كناسة، حدثنا جعفر بن برقان عن محمر البصري عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر فذكره[٣].

❖ البيان والتبيين ٢/٢٣، ٢٤:

رواها ابن عيينة، وأبوبكر الهذلي، ومسلمة بن محارب، رووها عن قتادة، ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم عن إبراهيم عن عبدالله بن حميد الهذلي، عن أبي المليح عن أسامه، أن ابن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري[٤].

---

(١) المبسوط للسرخسي، ١٦/٥٩.

(٢) سنن الدارقطني، صـــ٥١٢.

(٣) ١٠/١٨٢.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٣، ٢٤.

❖ الأحكام السلطانية، لأبي يعلى، صـ ٦٧.

قال أبو عبيد : حدثنا كثير بن هاشم عن جعفر بن بركات، وقال أبو نعيم عن جعفربن برقان عن معمر البصري عن أبي العوام، ثم ذكر أسناد سفيان بن عيينة[١]..

❖ المبسوط ١٦/٥٩:

عقد السرخسي في المبسوط بحثاً طويلاً عن القضاء سماه كتاب أدب القاضي، جاء فيه: وقد دل على جميع ما قلنا الحديث الذي بدأ به محمد -رحمه الله- ورواه عن أبي بكر الهذلي عن أبي المليح، عن أسامه الهذلي أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري.

❖ بدائع الصنائع، ٩/٤٠٩٣:

وأما آداب القضاة فكثيرة، والأصل فيها كتابة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه سماه محمد رضي الله عنه كتاب السياسة.

❖ تبصرة الحكام، ١/٢٧:

قال: ونبدأ بذكر رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروفة برسالة القضاء، قال سهل: وهذه الرسالة أصل فيما تضمنته من فصول القضاء، ومعاني الأحكام، وعليها احتذى قضاة الإسلام، وقد ذكرها كثير من العلماء وصدروا بها كتبهم، منهم عبد الملك بن حبيب، ثم سرد الرسالة.

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى، صـ ٦٧

❖ الأحكام السلطانية، للماوردي، صـ٧١:

قال : وقد استوفى عمر بن الخطاب ﷺ في عهده إلى أبي موسى الأشعري ﷺ شروط القضاء وبين أحكام التقليد.

وقال الإمام الصنعاني في سبل السلام، ١١٩/٤: ومن أحسن ما يعرفه القضاة كتاب عمر ﷺ الذي كتبه إلى أبي موسى الأشعري الذي رواه أحمد والدار قطني والبيهقي، وقال الشيخ أبو إسحاق: هو أجل كتاب، فإنه بين آداب القضاة وصفة الحكم وكيفية الاجتهاد واستنباط القياس، ثم سرد الكتاب.

❖ سيرة عمر بن الخطاب، لابن الجوزي :

عن أبي عبدالله بن إدريس، وهو إدريس بن يزيد قال : أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته، عن رسالة عمر بن الخطاب التي كان يكتبها إلى أبي موسى الاشعري.

❖ تلخيص الجبير، ١٩١/٤:

حدثنا عمر أنه كتب إلى أبي موسى الدارقطني والبيهقي من حديث عمر، أتم منه وساقه ابن حزم من طريقين، وأعلهما بالانقطاع، لكن اختلاف المخرج فيهما بما يقوي أصل الرسالة، لا سيماوفي بعض طرق أن راويه أخرج الرسالة مكتوبة.

❖ نصب الراية، ٨١/٤.

قوله ومثله عن عمر قلت : هو في كتاب عمر إلى أبي موسى، رواه الدار قطني في سننه في الأقضية عن عبدالله بن أبي حميد عن أبي المليح قال كتب عمر.. وعبدالله بن أبي حميد ضعيف، وأخرجه الدارقطني من حديث أحمد حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إدريس الأودي، عن سعيد بن أبي بردة وأخرج الكتاب فقال: هذا كتاب عمر ثم قرئ على سفيان من ههنا إلى أبي موسى، أما بعد فذكره.

ورواه البيهقي في المعرفة أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ثنا محمد بن عبدالله بن كناسه حدثنا جعفر بن برقان عن معمر البصري عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر فذكره..

❖ إرواء الغليل ٨/٢٤١,٢٤٢:

أثر أن عمر كتب إلى أبي سفيان، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، ولا يطمع شريف في ضيعك..

صحيح: اخرجه الدارقطني صـ٥١٢ من طريق عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح الهذلي، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، قلت : وعبيد الله بن أبي حميد، متروك الحديث كما في التقريب، وأما الزيلعي فقال في نصب الراية٤/٨١-٨٢: ضعيف.. لكن أخرجه الدارقطني أيضاً والبيهقي من طريق سفيان بن عيينه"ثنا" إدريس الأودي عن سعيد بن أبي بردة، وأخرج الكتاب فقال: هذا كتاب عمر، ثم قرئ على سفيان من ههنا إلى أبي موسى، أما بعد: وهذا أسناد رجاله ثقات، رجال الشيخين، لكنه مرسل: لأن سعيد بن أبي بردة تابعي صغير، روايته عن عبدالله بن عمر مرسلة، فكيف عن عمر، لكن قوله: هذا كتاب عمر وجادة وهي وجادة صحيحة من أصح الوجادات[1] وهي حجة.

---

(١) الوجادة بكسر الواو مصدر وجد يجد، وهو مصدر مولد غير مسموع من العرب: أن يجد حديثاً أو كتاباً بخط شخص باسناده، فله أن يرويه على سبيل الحكاية، فيقول : وجدت بخط فلان، حدثنا فلان ويسنده، قال ابن الصلاح: والوجادة ليست من باب الرواية وإنما هي حكاية عما وجده في الكتاب، وأما العمل بها: فمنع منه طائفة كثيرة من الفقهاء، والمحدثين ونقل عن الشافعي وطائفة من أصحابه جواز العمل بها، قال ابن الصلاح مرجحاً العمل بها وهذا هو الذي لا يتجه غيره في الأعصار المتأخرة لتعذر شروط الرواية في هذا الزمان، فلم يبق

وقد أخرج البيهقي في المعرفة من طريق أخرى، كما في الزيلعي عن معمر البصري عن أبي العوام البصري، قال : كتب عمر مذكرة، قلت وإسناده إلى أبي العوام صحيح، وأما أبو العوام البصري ففي الرواة ثلاثة كلهم يكنى بهذه الكنية، وكلهم بصريون وهم :

١. قائد بن كيسان الجزار: مولى هابلة.

٢. عبد العزيز بن الربيع الباهلي.

٣. عمران بن دوار القطان

ولم يتعين عندي أيهم المراد هنا، وثلاثتهم من أتباع التابعين، وكلهم ثقات إلا الأول، فلم يوثقه غير ابن حبان، ولم يذكر في ترجمة أحد منهم أنه روى عن معمر، وأنه أعلم، وعلى كل حال فهذه الطريقة معضلة وفيما قبلها كفاية..

قلت بل ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب، أن عمران بن دوار القطان، روى عن معمر، وبهذا يتضح أنه المقصود بأبي العوام، وتكون الرواية مسندة صحيحة، فتضاف إلى سابقتها فتعضدها[1].

❖ المحلى ، ١/٥٨.

ذكر ابن حزم لها سندين :

الأول :حدثنا بها أحمد بن عمر العذري"ثنا" أبو ذر عبد بن أحمد الهروي "ثنا" أبو سعيد الخليل بن أحمد القاضي السجستاني "ثنا" عبدالله بن موسى "ثنا" عبدالملك بن

– إلا مجرد وجادات، (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير) تحقيق: احمد محمد شاكر، صـ ١٢٨، ١٢٩..

(١) تهذيب التهذيب للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٠/٢٤٣.

الوليد بن معدان عن أبيه قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري : فذكر الرسالة.

الثاني : "ثنا" أحمد بن عمر "ثنا" عبدالرحمن بن الحسين الشافعي "ثنا" القاضي أحمد محمد الكرخي"ثنا" محمد بن عبدالله الغلاف"ثنا" أحمد بن علي بن محمد الوراق "ثنا" عبدالله بن سعد "ثنا" أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني "ثنا" سفيان عن إدريس بن يزيد الأودي عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى، وهذه الرواية لا تصح لكون هذا السند فيما بين الكرخي وأبي سفيان مجهولون، وهذا أيضاً منقطع فبطل القول به..

قال ابن حزم: وهذه رسالة لم يردها إلى عبدالملك بن الوليد بن معدان عن أبيه، وهو ساقط بلا خلاف، وأبوه أسقط منه، أو هو مثله في السقوط، فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر ﷺ منها قوله فيها: (والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفيهم وشافعيهم ومالكيهم، فمدار رد ابن حزم للرسالة على تضعيفه لسندها، ولكن في الميزان: عبدالملك بن الوليد بن معدان روى عن عاصم بن أبي النجود، قال يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد لا يحل الاحتجاج به، وقال البخاري : فيه نظر.. وكذا في تهذيب التهذيب[1].

قال أحمد محمد شاكر: وخير هذه الأسانيد إسناد سفيان بن عيينة عن إدريس وهو إدريس بن يزيد بن عبدالرحمن الأودي، وهو ثقة أن سعيد بن أبي بردة ابن أبي

(١) تهذيب التهذيب، ٢٢٨/٦.

موسى أراه الكتاب وقرأه لديه وهذه وجادة في قوة الإسناد الصحيح، إن لم تكن أقوى منه فالقراءة من الكتاب أوثق من التلقي عن الحفظ[١].

والرسالة قد رواها الدارقطني والبيهقي وابن الجوزي وابن القيم وغيرهم كما سبق.وقد أجيب عن هذا، على فرض أنها لم ترد إلا من طريق عبدالملك بن الوليد، فإنها لا تكون مكذوبة موضوعة، إذ أن عبدالملك وأباه لم يحكم عليهما أحد بمثل ما حكم عليهما ابن حزم، وقد وردت أقوال متعددة في عبد الملك فذكر ابن حبان أنه صالح كما قال ذلك ابن معين، وهو إمام في الحديث، وأشد تلك الأقوال أنه يقلب في الأسانيد، ولم يتهمه أحد بالكذب أو الوضع، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وغيره من العلماء[٢].

وأما أبوه فقال ابن حبان عنه من الثقات يروى عن ابن عمر، روى عنه إبنه عبدالملك يعتبر بحديثه[٣].

وقال ابن حجر في اللسان الوليد بن معدان الصيفي يروى عن ابن عمر روى عنه ابنه عبدالملك يعتبر بحديثه من غير رواية ابنه، أنفرد بحديث عمر إلى أبي موسى أن يجتهد رأيه[٤].

---

(١) هامش المحلى،١/٥٨.

(٢) تهذيب التهذيب، ٦/٤٢٨-٤٢٩.

(٣) الثقات، ٥/٤٩٣..

(٤) لسان الميزان للإمام احمد علي بن حجر العسقلاني،٦/٣٠١، دار الكتب العلمية.

❖ في تلخيص الجبير، ١٩٦/٤.

" وساقه ابن حزم من طريقين، وأعلّهما بالانقطاع، لكن اختلاف المخرج فيهما مما يقوي أصل الرسالة، لا سيما وفي بعض طرقه أن راويه أخرج الرسالة مكتوبة"(١).

وعلى فرض التسليم بضعف سند الرسالة، فإن ذلك لا يقتضي ضعف متنها، وعدم نسبتها إلى عمر بن الخطاب، فقد قال علماء المصطلح: إذا رأيت حديثاً بإسناد ضعيف فلك أن تقول هو ضعيف بهذا الإسناد ولا تقل ضعيف المتن لمجرد ضعف ذلك الإسناد، إلا أن يقول إمام إنه لم يرد من وجه صحيح"(٢)

فإذا كان هذا الحكم في الحديث النبوي فهو في غيره من باب أولى.

ومن المعلوم أن الإمام ابن حزم من أهل الظاهر الذين يردون القياس، ويبطلون العمل به، ويذهبون إلى أنه ليس مصدراً من مصادر التشريع، وقد استثارته عبارة (واعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور) فلم يجد وسيلة إلى الخروج من الحكم الذي وضعه عمر إلا أن يهدم الكتاب كله، ولم يجد إلى ذلك وسيلة إلا السند، فطعن فيه، وهذا واضح من كلمات ابن حزم حيث قال: فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر ﷺ منها قوله فيها : (والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب، وهم لا يقولون بهذا، يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفيهم وشافعيهم ومالكيهم، وإن كان قول عمر – لو صح تلك الرسالة– في القياس حجة فقوله في أن المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد

(١) تلخيص الجبير ١٩٦/٤

(٢) تدريب الراوي ٢٩٦/١.

حجة، وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة، لو صح فكيف ولم يصح ؟[١].

ولم ينف صحة سند هذه الرسالة إلا ابن حزم، وهو وإن كان إماماً إلا أن كلامه هذا كان في مناسبة إبطاله للقياس، وهذه مناسبة شخصية تخل باعتبار قوله والأخذ به [٢].

وقد شرح الإمام ابن القيم رسالة عمر في الجزء الأول، وبعض الجزء الثاني من كتابه: (إعلام الموقعين عن رب العالمين).

وقد رد بعضهم على هذا بأنه لا يلزم من شرحه صحته، فإن المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح[٣].

وهذا القول وإن كان صحيحاً إلا أنه يبعد عن رجل كابن القيم، فما كان ليشرح كتاباً مكذوباً على عمر أو منسوباً إليه، أو موضوعاً على لسانه، لأنه موصوف بالتحقيق في كل شيء، وذلك طابع مميز له عن غيره متبعاً في ذلك طريقة أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية.

والقول بأن المدار في الصحة على الرجال جزء من التحقيق، وليس التحقيق كله، لأن المدار في الصحة أيضاً على المتن أوالنص، ومحتوياته، وما يمكن أن يؤكده أو يضعفه، وهذه الأمور لا شك أنها وردت في بال الإمام أبن القيم، وهو يشرح الكتاب [٤].

---

(١) المحلى، ٥٩/١.

(٢) القضاء ونظامة في الكتاب والسنة د. الحميضي، صـ٢٥٤.

(٣) مجموع رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه لجمال الدين القاسمي، صـ ٣٨.

(٤) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي لظافر القاسمي، ٤٦٠/٢.

قال الشيخ محمد إسماعيل العمراني: (فهذه الرسالة العمرية من أحسن ما كتبه الأولون في القضاء، حيث اشتملت على عدة أحكام، وعلى جملة من المسائل التي يجب على كل قاضٍ مراعاتها، والعمل بمقتضاها.... وصفوة القول أنها أرست قواعد القضاء في الإسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة توجههم إلى سواء السبيل وتحول بينهم وبين اقتران المنكر، أو الجنوح نحو الباطل والانحراف عن العدالة)[١].

فكلام أهل العلم والاختصاص يكفي في الرد على ابن حزم الذي انفرد بتضعيف رواة الحديث، وقد استند المنكرون لهذه الرسالة إلى أمرين آخرين :

الأول : أن أبا موسى لم تثبت ولايته تاريخياً على الكوفة في عهد عمر[٢].

الثاني : اختلاف بعض ألفاظ الرسالة من رواية إلى أخرى، وأن عمر قد عمل بخلاف ما ورد في الرسالة بعض الأمور[٣].

وقد أجيب عن هذا: أما الأول فأجيب عنه من ثلاثة أوجه:

١) أن أكثر من روى هذه الرسالة لم يذكر أنها أرسلت إلى الكوفة، فأمر الكوفة غير مهم، أو قد يكون أرسلها عمر ﷺ إلى البصرة، وولاية أبي موسى على البصرة متفق عليها عند المؤرخين بل وليها مرتين في عهد عمر [٤].

(١) نظام القضاء في الإسلام، صـ٣٠.

(٢) تاريخ القضاء في الإسلام لمحمود عرقوس، صـ١٥٠.

(٣) المحلى لابن حزم، ٧٧/١.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٨٢/٢.

٢) أن بعض المؤرخين المحدثين أثبت ولاية أبي موسى على الكوفة بعد عمار بن ياسر سنة ٢٢هـ، فقد أثبت ذلك الأئمة: ابن جرير وابن الأثير وابن كثير وابن حجر[١].

أما الأمر الثاني :

فذلك ليس بمطعن، إذ الاختلاف في ألفاظ الحديث والأثر لا يكون موجباً لرده، ولا للطعن فيه، وذلك حاصل كثيراً في أحاديث الرسول ﷺ، وفي الآثار المروية عن الصحابة، وذلك ناتج لاختلاف حفظ الرواة وفهمهم، ما دام المعنى واحدا، وقد يقدم هذه كلمة ويؤخر ذلك أخرى، ولا يتغير شيء في الحديث أو الأثر، فاختلاف بعض الألفاظ بين الروايات لا يؤثر على صحة الرسالة[٢].

وأما القول بأن عمر ﷺ قد ذهب إلى خلاف الرسالة في قوله: والمسلمون عدول بعضهم على بعض حيث ذكر ابن فرحون عن ابن سهل أنه قال: وقول عمر ﷺ في هذه الرسالة: المؤمنون عدول بعضهم على بعض، فقد رجع عمر ﷺ عن ذلك بما رواه مالك في الموطأ، قال ربيعة: قدم رجل من أهل الطروق على عمر بن الخطاب ﷺ فقال : قد جئتك بأمر لا رأس له ولا ذنب فقال عمر : ما هو ؟ فقال : شهادات الزور ظهرت بأرضنا، فقال عمر: والله لا يؤسر رجل في الإسلام بغير

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٨٢/٢.

(٢) أولويات الفاروق السياسية للدكتور / غالب القرشي.

العدول[١]، وهذا يدل على رجوعه عما في الرسالة، فالمعروف من مذهب عمر قبول شهادة المجلود في حد إذا تاب.

أما قبل التوبة فمتفق على عدم قبول شهادته.

وكون عمر ﷺ يرجع عن شيء مما في الرسالة أو عما قاله في قضية من القضايا أو مسألة من المسائل التي أفتى بها، لا يعني نفي الرسالة كلها أو إبطالها، والحكم عليها بأنها مكذوبة موضوعة، بل في الرسالة ما يدل على أن مذهب عمر الرجوع إلى الصواب: إذا ظهر له الخطأ، حيث قال : ولا يمنعنك قضاء قضيت في اليوم، فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[٢].. بدليل أن ابن فرحون أثنى على الرسالة ولم يطعن فيها.

❖ رأي (أميل تيان):

تناول (أميل تيان) الرسالة في كتابه تاريخ التنظيم القضائي في بلاد الإسلام مرتين :

الأولى : حين بحث عن المصادر وأعتبره منها.

الثانية : حين بحث في موضوع المصادر عن أبي موسى الأشعري فجاء على كتاب عمر إليه وقد أشار إلى ترجمة مرجليوت- أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد- للرسالة إلى اللغة الإنجليزية من المجلة الآسيوية عام ١٩١٠م في صـ ٣١١/٣١٢، وذكر نقلاً عن مرجليوت أن "هامر" الألماني قد ترجمه إلى اللغة الألمانية، وقد أخذ (تيان) على مرجليوت بعض أخطاء الترجمة، وإن كان قد أثنى عليها بصورة عامة.

---

(١) تبصرة الحكام بهامش فتح المعين لمالك، ٢٨/١.

(٢) أولويات الفاروق السياسية، للدكتور / غالب القرشي، ٦٢٦-٦٢٩.

وقد وصف الرسالة بقوله: وكما يتبين من قراءة هذه الوثيقة، فإنها تتضمن قواعد مختلفة في أصول المحاكمات وقانون البينات والأخلاقية القضائية، واجتهاد القاضي..الخ. وكثير من المؤلفين أخذ هذا الكتاب جملة جملة، وقاموا بعمل تفسيري مفصل، وهم يحاولون بأن يستنبطوا منه جميع القواعد التي على إدارة القضاء، فهو ليس أحكاماً جزئية ولا وصايا ولا توجيهات حول هذه النقطة الخاصة، أو تلك، ولكنه نوع من الدستور العام، أو نوع من الوثيقة العضوية للسلطة القضائية في الإسلام، ولهذا فإن المؤلفين المسلمين أعطوه إسماً يتفق مع طبيعته فقالوا: كتاب التنظيم السياسي للسلطة القضائية، وإدارة العدالة، أو أبسط من هذا: كتاب القضاء أو كتاب السياسة..

ثم ذكر أنه نقل هذا عن السرخسي حيث عنونه: (كتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم، ثم قال : إن الشريعة الإسلامية لم تقم حيال هذا النص بأي عمل نقدي، وتقبل صحته من دون أدنى مناقشة)[١].

وقد عمد مرجوليوت إلى ثلاث روايات اختارها، وهي رواية الجاحظ وابن قتيبة وابن خلدون، ثم جعل من اختلاف الروايات سبباً للتشكيك في صحتها، وعجب أن يكون هذا الكتاب قد نقل شفاهاً من عمر لأبي موسى [٢].

❖ **رأي ظافر القاسمي حول التراجم**

قال: لقد درسنا ترجمة تيان فوجدنا أن وصفه لترجمة مرجيلوت ينطبق عليها أيضاً، فهي ترجمة صالحة جملة، ولكن فيها بعض الأخطاء التي لم يوفق فيها، فنحن مع

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي للأستاذ / ظافر القاسمي ٢/٤٦٠.

(٢) هامش أخبار القضاة لوكيع – عبد العزيز مصطفى المراغي ١/٧٣-٧٤.

(مرجليوت): بأن فريضة هي فريضة شرعية سواء أورد النص عليها في القرآن كما ذهب مرجليوت، وكما هو الواقع أم ورد النص عليها في السنة النبوية، أما محكمة التي أهملها مرجيلوت، والتي قال عنها (تيان) : أنها يقينية أو محققة، فإنها صفة تتعلق بعلوم القرآن، فلم يستطع أي منهما الوصول إليها فضلاً عن فهمها وهي تعني أنها لم تنسخ، ولن تنسخ، فالمحكم ضد المتشابه، وكان حرياً بتيان أن يترجمها لو فهمها بالمصطلح القانوني المعروف في الفرنسية، أي غير قابل للإلغاء، ثم قال : ولا نستقصي أخطاء تيان في الترجمة، وإنما نضرب أمثلة عليها[1].

❖ رابعا : اعتراض المستشرقين على الرسالة :

ذكر المستشرقون جزءاً من الأسباب السابقة وأضافوا أسباباً فقالوا: إن الكتاب لم يذكر قبل القرن الثالث في أي مؤلف أو علم وأن الصمت عنه في تلك المرحلة يدعو إلى الاضطراب، حيث لم يذكره مالك في موطئه وأحمد في مسنده والشافعي وزيد في مسنديهما.

وكذلك لم تذكره كتب الحديث كالبخاري، ومسلم مع ذكرهما الاحاديث الكثيرة عن عمر، فمن الممكن إذن أن يبدو غريباً جداً أنه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، أي أكثر من مائة وخمسين سنة بعد وفاة الخليفة عمر، لا نرى نصاً يذكر الكتاب الذي تسنده الروايات المتأخرة إلى عمر، أن المؤلفين الذين لا حظنا عندهم هذا الصمت كان يمكن أن يكون لهم أكبر الاهتمام في أن يذكروا في كتاباتهم المتعلقة بالسلطة القضائية هذه الوثيقة المزعومة لو وجدت حقيقة.

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ٢/٤٦٠.

وذكروا أيضاً أن الوثيقة ليست مقبولة من المؤلفين الأقدمين بالإجماع، فابن حزم أنكرها[١].

وقد عبر بعضهم عن ذلك قائلاً: (العرب أولئك رعاة الشاة حفاة الأقدام لا يمكن أن يكون ذلك منهم، ولا يمكن لهم أن يشاركوا حضارياً بأي شيء، لأن همهم الأول والأخير هو السلب والنهب، حيث أن كلا منهم يغير على الآخر لأخذ ما بحوزته من شياة ونساء وجواري[٢]

❖ وهناك أسباب مستخلصة من نص الوثيقة:

إذ وضح عمر المصادر الثلاثة التي ينبغي على القاضي استنتاج الأحكام منها وهي: الكتاب والسنة والقياس، بينما نعلم أن أعمال الاجتهاد التي انتهت إلى إقامة هذه العناصر الثلاثة، لا سيما القياس كمصدر للتشريع والتفسير لم تبدأ في الإعداد إلا حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة مع الفقهاء العظام المهدين أو المؤسسين للمذاهب الشهيرة.

وهناك مقطع آخر في الكتاب يتضمن خطأ تاريخياً أكبر، فقد جاء فيه: (إن المسلمين عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً حداً أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في ولاء أوقرابة).. بينما نجد أن الاجتهاد بعد عمر لم يأخذ بعين الاعتبار حكماً من هذا النوع.

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي للأستاذ / ظافر القاسمي ٤٦١/٢.

(٢) السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام للدكتور / نصر فريد محمد واصل، صـ٦٩-٨٠.

ومن جهة أخرى نجد أن ابن سعد في ترجمة شريح يقول إنه كان يرد حتى شهادة الشريك المتداعي، وكل شخص يمكن أن يكون له مصلحة في الخلاف، وهناك فقرات أخرى تبين بوضوح أن القاضي كان يقدر وحده إمكان قبول الشهادة كما كانت حال قاضي القاهرة في السنوات الأولى من القرن الثاني الذي كان يرد شهادة أفراد قبيلة ضد قبيلة أخرى، وشهادة الزوج الذي يرفض القيام بواجباته الزوجيه.

فإذا أضفنا أخيراً اعتباراً تاريخياً ذا طابع عام أوضحه جميع العلماء الذين اشتغلوا بالإسلاميات وهو أنه في السنوات الأولى من الغارة العربية لم تكن جميع اهتمامات رؤساء الإسلام منصبة إلا على العمليات للفتح، وأن كل فكرة للتنظيم السياسي، وبالأحرى للتنظيم القضائي مستبعدة، فإن إسناد كتاب بهذا التفصيل وبهذه الحداثة إلى عمر حول القضاء وأصول المحاكمات يبدو خطأ تاريخياً واضحاً، ولهذا فإننا نعتبر أنه في وسعنا اختتام البحث برد صحة هذه الوثيقة[1].

وقد ذكر الماوردي اعتراض بعضهم على صحة الرسالة لوجود خلل من وجهين..

أحدهما : خلوه عن لفظ التقليد الذي تنعقد به الولاية.

الثاني : اعتباره في الشهود عدالة الظاهر والمعتبر عدالة الباطن بعد الكشف والمساءلة ثم أجاب عن هاتين الشبهتين: (أما خلوه عن لفظ التقليد ففيه جوابان :

١) أن التقليد تقدمه لفظاً وجعل العهد مقصوراً على الوصاية والأحكام.

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي للأستاذ / ظافر القاسمي ٤٦١/٢، والسلطة القضائية نصر فريد واصل صـ٨٠.

٢) أن ألفاظ العهد تتضمن معاني التقليد مثل قوله: (فافهم إذا أدلي إليك) وقوله: (فمن أحضر بينة أخذت له بحقه وإلا استحللت القضية عليه) فإن فحوى الأوامر مع شواهد الحال مغني عن لفظ التقليد.

أما اعتباره في الشهود عدالة الظاهر ففيه جوابان:

أحدهما: أنه يجوز أن يكون ممن يرى ذلك؛ فذكره أخباراً عن اعتقاده فيه لا آمرا به.

الثاني : معناه أنهم بعد الكشف والمساءلة عدول ما لم يظهر جرح إلا مجلوداً حداً[١].

❖ الرد عليهم :

إن هذا الأمر ليس غريباً على المستشرقين الذين يبحثون عن الثغرات للطعن في الإسلام والنيل منه.. بل قد يشككون فيما هو ظاهر الصحة والبيان.. ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي :

١) أما عدم ورود الكتاب في كتب السنة فلا يصلح أن يكون سبباً لرده، أو في اعتبار نسبته إلى عمر غير صحيحة؛ لأن البخاري جمع في صحيحه أقل من عشرة ألف حديث من أصل ثلاثمائة ألف حديث، وكتب السنة ليست محصورة فيما ذكروه، إذ وردت الرسالة في سنن الدارقطني والبيهقي على الرغم من أنهما متأخران، وذلك يؤدي إلى اعتباره ما دام مستجمعاً شروط الصحة عندهما، ولعل القائلين بهذا القول لم تصلهم الرسالة من هذين الطريقين[٢]..

---

(١) الأحكام السلطانية، صـ٦٠

(٢) القضاء ونظامه في الكتاب والسنة د. عبدالرحمن الحميضي صـ٢٥٤، أولويات الفاروق السياسية د. غالب القرشي، صـ٦٢٨.

٢) والصمت الذي ذكروه يعود إلى الأسباب العامة التي حالت دون تدوين السنة النبوية، وأهمها الخوف من تداخل القرآن الكريم مع السنة.

٣) وأما الإسناد فقد بينا صحته فيما مضى، وأنه وجادة.

٤) أما عدم ذكرها في الكتب التي ترجمت للقضاة فقد وردت في رواية وكيع، وهو أقدم وأشهر من ترجم للقضاة، وليس بالضرورة إيرادهم لها، ثم قد رويت في اثنين من أمهات كتب الأدب، وهما البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، وهما من الكتب الأربعة المشهورة في الأدب بإجماع علماء اللغة، كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة، والأمالي لأبي على القالي..

وإيراد الجاحظ والمبرد لها ضمن النصوص الأدبية السابقة لعصريهما، وقد قصد جمع نصوص أدبية من بلاغة العرب في الشعر والنثر والخطب والرسائل، وهما من أعرف الناس بالنصوص، ومن أقدرهم على تمييز صحيحها من منحولها، وفصيحها من ركيكها، فلو كان في الرسالة أي شبهة وأنها ليست من الأسلوب الذي ساد في تلك الفترة لما روياه، وتلك طريقة يمكن التمييز بها بين الصحيح والمنحول..

لذلك فإن بعض نقدة متون الحديث النبوي قد استبعدوا بعض الأحاديث؛ لأنها ركيكة ولأن أفصح العرب محمد ﷺ لا يمكن أن يقول قولاً ركيكاً.

فإثبات الجاحظ والمبرد للرسالة دليل على صحتها من الناحية اللغوية والأدبية، وأنها متفقة مع أساليب العصر الأول، ولا يخالف ما عهده كبار العلماء من أسلوب عمر بن الخطاب في الكتاب والخطاب.

٥) أما اختلاف الروايات في الحديث: فلا يكون سبباً قادحاً وموجباً لرده، لأن الروايات كلها تحمل معنى واحداً، والعلماء الخبيرون بالأخبار وطرق نقلها لم

يشككوا في صحة الكتاب، ولم ينقل عن واحد منهم معنى من معاني رده، وقد تولى تفسيره بعضهم كالإمام ابن القيم ولم يشكك فيه ولا شيخه ابن تيمية، ولو كان في الكتاب مغمزاً ما ترددا في بيانه، بل قال ابن القيم -رحمه الله- عند روايته: (وهذا كتاب جليل القدر تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إلى تأوله والتفقه فيه [١].

٦) أما القول بأن تأخر انتشار تعاليم الإسلام مع الفتح، وأن الأعراف المحلية هي المتبعة حتى نهاية القرن الأول.. فهو مردود ومخالف لكل ما في كتب التاريخ والفتوحات، فمن المعلوم أنه منذ أيام الرسول ﷺ كان يرسل مع كل وفد جاء مسلماً من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

٧) ونحن مع القول القائل بأنه لا يلزم من شرح الرسالة صحتها: فإن المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح..

٨) ولكن رجلاً كابن القيم ما كان ليشرح كتاباً منحولاً لعمر أو مكذوباً عليه، أو موضوعاً على لسانه فالتحقيق في كل شيء طابع مميز لمؤلفات ابن القيم، وأستاذه ابن تيمية وكان حرياً بإمام كابن القيم أن يعتبر أن الكتاب منحول ومكذوب وموضوع وليس في وسعنا أن ننسب الجهل إلى إمام كابن القيم[٢].

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ٨٦/١.

(٢) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ٤٥٨/٢.

والقول بأن المدار في الصحة على الرجال جزء من التحقيق لأن المدار في الصحة أيضاً على المتن أو النص ومحتوياته، وما يمكن أن يؤكده أو يضعفه، وهذه أمور لا شك أنها قد وردت مع غيرها على بال ابن القيم حين هم بشرح هذا الكتاب [١].

(١) القضاء ونظامه د. الحميضي، صـ٢٥٥.

❖ خامسا : الأحكام المستفادة من الرسالة :

لقد اشتملت الرسالة على عدد من الفوائد شرحها الإمام ابن القيم في جزء ونصف من كتابه، نستخلص منها ما يلي :

١) الإشارة إلى أهمية القضاء وعلو منزلته وشأنه في نفوس الناس.

٢) ضرورة سماع القاضي لكل من الخصمين وفهم مراده.

٣) الهدف والغاية من القضاء هو إحقاق الحق ونفاذه، وأنه لا بد من تحقيق ذلك الهدف وإلا أصبح القضاء مجرد إجراءات شكلية لا جدوى ولا منفعة من ورائها.

٤) فتح باب التسوية الودية – الصلح– أمام المتخاصمين قبل صدور أي حكم قضائي بشرط أن لا تكون هذه التسوية مشمولة بإجحاف حق من الحقوق أو حيف يؤدي إلى حل حرام أو تحريم للحلال.

٥) ضرورة توفر المساواة بين الخصوم وعدم تفضيل أحدهم على الآخر مهما كانت مراكزهم في الدولة، وقد طبق هذا سيدنا عمر على نفسه عند ما تخاصم مع أبي بن كعب إلى زيد بن ثابت ﷺ وأن ذلك صمام أمان المجتمعات وإزالة اليأس أو التطلع إلى استغلال النفوذ.

٦) عدم قبول الشفاعة والوساطة مطلقاً أثناء ممارسة هذا العمل العظيم والخطير.

٧) التأني والحذر من إصدار الحكم إذا كان هناك حق من الحقوق الغائبة وإعطاء الفرصة للمدعي لإثبات دعواه.

٨) مشروعية استئناف الأحكام بعد صدورها بدراستها ومراجعة الأسس التي صدرت بناء عليها، لأن الحق دائماً ثابت ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل..

٩) الإشارة إلى ما ينبغي توافره في الشاهد من شروط وضوابط، بحيث لا يكون قد جرب عليه شهادة الزور أحد أو جلد في حد، أو كان واقعاً تحت تأثير ولاء للمدعي، أو كانت تربطه صلة قرابة به.

١٠) أن على القاضي أن ينظر إلى ظاهر الحال، وأن السرائر يتولاها الله تعالى.

١١) وجوب توافر شروط العلم بالأحكام الشرعية لدى القاضي، والقدرة على رد الأمور إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وعدم التقليد في الحكم، لأن التقليد في الحكم ينتج حكماً قاصراً في الغالب ويتعدى ذلك الحكم إلى غير المقلد وهذا لا يجوز.

١٢) الإشارة إلى الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القاضي من رحابة الصدر وعدم الغضب والقلق والضجر وسرعة الانفعال وعدم التأذي بالناس وعدم التنكر للخصومة أو الخصوم.

١٣) ضرورة تعهد القاضي لأعماله، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان لله خالصاً، وللسنة موافقاً، وأن جزاء المخلص عظيم..

١٤) والخلاصة أن رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أعظم موجهات القضاء، ولا غرو أن يطلق عليها دستور القضاء..

تمت

منهج حماية العقيدة الإسلامية

أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في أصول الدين

الباحث/عبد الغني حيدر فارع

منهج حماية العقيدة الإسلامية

أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في أصول الدين من قبل الباحث/
عبد الغني حيدر فارع.إشراف الدكتور) محسن عبد الحميد أحمد
وقد أجيز البحث بتقدير "ممتاز" في ٨ أغسطس ٢٠٠٣م

* التحرير

إن العقيدة الإسلامية هي أصل هذا الدين، وعلى قدر سلامتها وقوتها تكون الاستقامة والعزة في حياة المسلمين، ومن هنا كانت الدراسة إسهاماً في هذا الباب.

وقد احتوت الدراسة على مقدمة بين فيها الباحث الأهداف من هذا الجهد والتي كان منها :

- أن الفهم الصحيح للعقيدة والاستقامة عليها هي الأصل في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، كما بين الأسباب التي دفعت الباحث لذلك ومنها:

ما مرت وتمر به أمتنا اليوم من حال لا تحسد عليها، فتكالب الأعداء عليها من كل حدب وصوب، إذ تحققت بذلك نبوة رسولنا-ﷺ-حيث قال : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) [١] .

(١) مسند أحمد، ٢ / ٣٥٩، سنن أبي داود، ١١/٤، (كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام) من حديث ثوبان رضي الله عنه واللفظ له.

○ تضمن التمهيد مصطلحات العنوان: (مفهوم المنهج، الحماية، العقيدة الإسلامية).

أما فصول الدراسة، فقد كانت أربعة على النحو الآتي :

الفصل الأول : أسس منهج الحماية؛ وكان المراد بها ما يأتي :

المبحث الأول: الأساس المعرفي.

المطلب الأول المعرفة وأهميتها :

أولاً : مفهوم المعرفة: أورد الباحث معناها لغة واصطلاحاً، وأنها تعني إدراك الشيء بتفكر، وتدبر لأثره وأنها أخص من العلم.

ثانياً : مكانة المعرفة وأهميتها في حماية العقيدة: دلل الباحث على ذلك من الكتاب والسنة، وأن أول سورة من القرآن نزولاً، كانت تحمل أسم أداة العلم (القلم) فكان ذلك إيذاناً بأن دين الإسلام هو دين العلم والمعرفة.

كما منع كل ما لا يتصل بالحقيقة من قريب أو بعيد كالسحر، والكهانة، والعرافة، وما يلحق بها من أباطيل.

المطلب الثاني: وسائل المعرفة : وهي على النحو الآتي :

(١ – الحواس، ٢ – العقل، ٣ – الوحي).

ولقد بين الباحث معنى كل واحدة منها وأهميتها ودورها في بناء العقيدة.

المبحث الثاني: الأساس البشري : تضمن بيان دور هذا الإنسان تجاه عقيدته، كونه المكلف بذلك من خلال الآتي :

المطلب الأول: الأساس الفطري، وقد اشتمل على :

أولاً : مفهوم الفطرة.

ثانياً : أهميتها ودورها في حماية العقيدة: إذ أن المحافظة عليها من الانحراف هو طريق لحفظ العقيدة، وحمايتها، لذلك فإن إرشاد الفطرة بما جاء عن الله تعالى هو أول الطريق الذي أراده الله لحفظ العقيدة من الضلال.

المطلب الثاني استخلاف الإنسان؛ تضمن فيه:

أولاً: مفهوم الاستخلاف.

ثانياً : أهداف الاستخلاف: وهي أهداف رئيسة ذكرها القرآن الكريم وكلها تؤدي إلى حماية العقيدة، وحفظها وأجملها الباحث في ثلاث غايات رئيسة هي :

١ – عبادة الله تعالى . ٢– خلافة الله في الأرض. ٣– عمارة الأرض.

الفصل الثاني: أساليب منهج الحماية والتي أشتملت :

المبحث الأول: الأساليب العلمية: والتي قصد بها المكتشفات العلمية المتتالية في هذا العالم والإنسان، والتي لم يكشف عنها في عهد تنزل القرآن الكريم لضعف وسائل التجريب حينذاك، ثم جاء العلم التجريبي اليوم وعمل على اكتشافها، إضافة إلى ما تضمنه التاريخ في سجله، تؤدي جميعها إلى الشهادة لهذه العقيدة بالصدق وأنها حق، وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول: الاستدلال بالكون:

أولاً : الدليل العلمي (الحسي).

ثانياً : الدليل العلمي (العقلي).

المطلب الثاني الاستدلال بالتاريخ.

المبحث الثاني: الأساليب العملية شملت الكلمة والموقف (اللسان والسنان) ليتبين لنا بجلاء طريق حماية العقيدة في كل عصر ومصر، وبوضوح تام لا لبس فيه ولا

غموض وليس لمؤمن إلا اتباع ما جاء به الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، وقد تناول الباحث ذلك فيما يأتي :

المطلب الأول: الدعوة

المطلب الثاني: التربية.

المطلب الثالث: العبادات في الإسلام.

المطلب الرابع: الحدود الشرعية (حد الردة).

المطلب الخامس: الجهاد.

ذاكراً في كل مفردة مفهومها، ومكانتها في الإسلام، ودورها في حماية العقيدة.

الفصل الثالث) مجالات حماية العقيدة من النقض والانحراف :

المبحث الأول: الحماية من الكفر والشرك

في هذا المبحث عرف الباحث بهذه الكليات من النواقض، وذكر أن هدف الإسلام من بيانها هو تحذير المسلمين من أن يصدر منهم ما ينقض عقيدتهم وإيمانهم بالله تعالى، وبرسول الله-ﷺ-، وما جاء به من أمر هذا الدين فهم المقصودون بهذه المنهجية من الحماية والحفظ وكان تناولها على النحو الآتي :

المطلب الأول: الكفر

أولاً : مفهومه.

ثانياً : أنواعه.

ثالثا: موقف الإسلام من الكفر وأهله.

المطلب الثاني: الشرك

أولاً : مفهومه.

ثانياً : أنواعه.

ثالثاً : حكم الإسلام في الشرك.

المبحث الثاني: منع طرق الضلالات والانحراف الفكري :

المطلب الأول: البدع : ذكر الباحث في هذا المطلب المفهوم، والأنواع، وحكم الإسلام فيها، ثم بين منهج الإسلام الواضح في الحماية من الابتداع في الدين بالزيادة فيه أو النقص منه تحت أي مبرر كان، وكان تناول ذلك وفق المفردات التالية :

أولاً :مفهوم البدع.

ثانياً : أنواع البدع.

ثالثاً : منهج الإسلام في الحماية من البدع.

المطلب الثاني: الغزو الفكري

عرف الباحث به وبين المراد منه، وأن الغرب النصراني لما أخفق في الحروب الصليبية لم يستسلم لذلك، بل لجأ إلى تخطيط جديد يحقق من خلاله أهدافه، الأمر الذي جعل من الأهمية تناوله بالبحث والدراسة وفق الفقرات الآتية :

أولاً : مفهوم الغزو الفكري وأهدافه.

ثانياً : نماذج من تيارات الغزو الفكري ووسائله.

ثالثا: منهج المواجهة والحماية.

الفصل الرابع : نماذج من المناهج المعاصرة في دراسة العقيدة والمنهج المختار.

هذا الفصل يتضمن نماذج من مدارس وتيارات الفكر الإسلامي المعاصر التي حملت على عاتقها دراسة الإسلام والدفاع عنه، وقدمها الباحث في شكل مناهج اختطت اليوم في مسيرة العمل الإسلامي، كما تضمن الفصل المنهج المختار في دراسة العقيدة وحمايتها في الحياة المعاصرة، وقد كان تناول ذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: من مناهج دراسة العقيدة وحمايته في الحياة المعاصر.

المطلب الأول: المنهج النقلي.

المطلب الثاني: المنهج العقلي.

المطلب الثالث: المنهج العلمي.

المبحث الثاني: المنهج المختار (المنهج التكاملي).

المطلب الأول: التعريف والنشأة.

المطلب الثاني: معالم المنهج في الإصلاح والتغيير.

المطلب الثالث: مميزات المنهج والمآخذ عليه.

المطلب الرابع: من رواد المنهج وأعلامه.

الخاتمة وأهم النتائج :

بعد البحث والدراسة في مصدري الوحي (القرآن والسنة) وما أخرجه لنا علماء الإسلام ومفكروه في علوم الإسلام المتنوعة، (عقيدة، فكر، تفسير، شروح حديث رسول الله -ﷺ-، كتب السيرة والتراجم وغيرها...) يمكن للباحث استخلاص عدد من النتائج التي أبرزها هذه الأطروحة، من ذلك :

١) إن الإسلام لم يحتفل بشيء أكثر من احتفاله بالعلم وأهله، وعده واجباً على كل مسلم ومسلمة كونه أحد أسس منهج حماية العقيدة في كل زمان ومكان، جاعلاً له وسائل لكسب المعرفة وتحصيلها (الحواس ، العقل، الوحي) وحدد لكل منها مجالاً وقدراً تعمل فيه، وهي بمجموعها تحقق للإنسان المعرفة التي أرادها الله منه.

٢) إن واقع الإنسان وقواه المحدودة دليل على الحاجة إلى النبوة، ذلك لأن الناس يختلفون في تفكيرهم وقدراتهم، كما أن هذا التفكير وتلك القدرات

لها مجالاتها التي تعمل فيها، أماما وراء ذلك فيظل ضرباً من الحدس والتكهن، ومن هنا كانت الحاجة قائمة إلى من يكمل تلك المعرفة، ويوصل إلى الحق الثابت، وليس سوى الوحي الصادر من الله تعالى عن طريق من اختاره واصطفاه لذلك، الأمر الذي يجعل الباحث يؤكد على أهمية وضرورة الرجوع إليه مباشرة في استقاء عقيدتنا، بعيداً عن الوهم والخرافة، والتيه والضلال، والصنمية والتبعية المانعة من المعرفة الحقة المشوهة لمحتواها ومسارها، وهو ما جعل الباحث يقرر أهميته في المحافظة على العقيدة من الانحراف.

٣) لقد ميز الله الإسلام بخاصية الفطرة لأنه دين عام لكل البشر، مناسب أن يكون سائغاً لنفوس البشر جميعاً إلى قيام الساعة، على أن وصف الإسلام بالفطرة لا يقصد به الفطرة الظاهرة الجسدية، لأن الإسلام عقائد وتشريعات، وكلها مدركة بالعقل، وإنما المقصود بالفطرة الإنسانية التي هي مجموع مكونات هذا الإنسان (الجسم، العقل، الروح) والمطلوب من المؤمنين اليوم والدعاة على الأخص منهم استنقاذ هذه الفطرة من الركام الذي يسلط عليها في كل حين، لتحيى بما هو لها حياة – بالإسلام – في الحياتين : الدنيا والأخرى، وتقوم حينها بدورها في حماية العقيدة.

٤) إن الله سبحانه استخلف الإنسان في الأرض تكرماً منه وتشريفاً، ومنحة وعطاء، وهذا من جملة تكريمه للإنسان ليقوم بأمر الاستخلاف خير قيام، المتمثل في : عبوديته لله تعالى في كل ما يحب الله ويرضى، ووجه وأمر، على أن يتم تنفيذ ذلك سواء كان على مستواه الفردي (كفرد) أم على مستوى

الدولة (كسلطان)، كل في مجاله وبقدره، وفيما شرع له تعالى، إذ من الناس من يهديه الكتاب والميزان، ومنهم من لا يردعه إلا الحديد والسنان، وبذلك تتحقق حماية العقيدة من قبل الإنسان كأمر أنيط به من قبل الشارع الحكيم.

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التصوير الفني في سورة طه

(دراسة فنية أدبية)

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن
الكريم والعلوم الإسلامية – أم درمان –
لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

الباحث / محمد بن محمد حزام العديل

التصوير الفني في سورة طه (دراسة فنية أدبية)

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا والبحث والعلمي ـ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) في الأدب والنقد ،

من الباحث / محمد محمد حزام العديل إشراف البروفسور / عباس محجوب محمود .

وقد أجيزت الرسالة بتقدير "امتياز" في ١٣ / أغسطس ٢٠٠١م

* التحرير

أولا المقدمة :ـ

إن أحق ما يشتغل الباحثون ، وأفضل ما يتسابق إليه المتسابقون ، مدارسة كتاب الله ، ومداومة تدبره ، بحثا عن لآلئه ، وكشفاً لعلومه وحقائقه ، وإظهاراً لإعجازه ، وتجلية لمحاسنه ، ودفاعاً عن ساحته ، ونفياً للشكوك والريب فيـــه ، وهذا أمر تكفل منزله به ، بيد أن الشرف لمن كان من أدواته ، فالقرآن بحر لا يدرك قعره ، ولا يسبر غوره ، ولا تنفذ دُرره ، ولا تنقضي عجائبه ، فما أحق الأعمار أن تفنى فيه ، والأزمان أن تشتغل به ، وكل ساعة يقضيها الباحث في النظر في كتاب الله ، والتأمل فيه أو في البحث فيما يتصل به هي ـــ واقعـــاً ـــ ساعة قرب من الله.

بهذه الكلمات بدأ الباحث مقدمته التي اشتملت على ما يلي :

١) أهداف البحث : حيث ذكر الباحث جملة من الأهداف التي سعى مـــن خلال بحثة إلى تحقيقها .

٢) أهمية البحث .

٣) دوافع البحث .

4) الصعوبات التي واجهت الباحث .

5) الدراسات السابقة .

6) منهج البحث .

وقد أشتمل البحث علي خمسة فصول مع المقدمة والخاتمة والفهارس الفنية، وهي على النحو التالي :

الفصل الأول : تعريف التصوير الفني وذكر نشأته . حيث جاء هذا الفصل في مبحثين هما :

المبحث الأول : تعريف التصوير الفني : وقد تضمن المبحث شرح وتعريف المصطلحات التالية :(الصورة، التصور، التصوير، الفن) .

المبحث الثاني : نشأة التصوير الفني وتطوره، حيث تتبع الباحث التصوير الفني في الأدب العربي في مراحلة التالية :

1) التصوير في الشعر الجاهلي .
2) التصوير في الشعر الإسلامي .
3) التصوير عند النقاد القدماء .
4) التصوير عند سيد قطب .

شارحاً ومدعما لأقواله بالشواهد الشعرية ، مبيناً أهم السمات والخصائص الفنية للتصوير في هذه المراحل.

الفصل الثاني :- التصوير الفني في القرآن الكريم .

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : ماهية التصوير الفني في القرآن الكريم ، وقد أوضح الباحث في هذا المبحث أهم عناصر التصوير الفني في القرآن الكريم والمتمثلة في :

1) تصوير المعاني الذهنية المجردة .
2) تصوير الحالات النفسية والمعنوية .
3) تصوير الحوادث الواقعة .
4) تصوير الأمثال المضروبة .
5) تصوير القصص المروية .
6) تصوير النماذج الإنسانية .

المبحث الثاني : التناسق الفني في القرآن الكريم ، حيث ناقش الباحث أهم عناصر التناسق في القرآن الكريم وهي :

1) المفردة القرآنية .
2) الإيقاع الموسيقي .
3) التقابل .

المبحث الثالث : من وسائل التصوير في القرآن الكريم . تضمن هذا المبحث أهم الوسائل التي استخدمها التعبير القرآني في التصوير وهي :

1) التصوير بالوصف .

2) التصوير بالقصة .

3) التصوير بالحركة .

4) التصوير بالموسيقى .

5) التصوير باللون .

الفصل الثالث : التصوير الفني في سورة طه .

وقد أشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث ــ أيضاً ــ هي :

المبحث الأول : بين يدي السورة ، حيث تناول الباحث من خلاله التعريف بالسورة ، ووجه ترتيب السورة وتناسب ارتباطها بما قبلها وما بعدها ، والجو العام للسورة ، وأسلوبها ... وذلك بالنظر إلى المصطلحات الأدبية والبلاغية مثل : المباشرة في الخطاب ، الإضمار ، الإيجاز والإطناب ، سهولة الألفاظ ووضوحها ، التشويق في العرض ... إلخ.)

المبحث الثاني : التناسق الفني في السورة ، والمتمثل في :

- تناسق الآيات والمقاطع .
- المفردات .
- الإيقاع الموسيقي .
- التقابل .

المبحث الثالث : وسائل التصوير الفني في السورة ، كالتصوير بالوصف ، والحركة، والموسيقى ، واللون ، والقصة .

الفصل الرابع : القصة في السورة :

وقد افرد الباحث لها فصلاً مستقلاً من ثلاثة مباحث ، وذلك لما للقصة من أهمية بالغة في وسائل التصوير ، بالإضافة إلى أنها تشغل الحيز الأكبر في السورة ، والمباحث التي تناولتها هي :

المبحث الأول : أهداف القصة .

إن أهداف القصة في السورة هي منبثقة من أهداف القصة في القرآن الكريم عموماً ، وقد سيقت لتحقيق أهداف منها : إثبات الوحي والرسالة ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وإثبات أن الأديان موحدة الأساس ، وبيان أن دعوة الأنبياء موحدة ، وأن أقوامهم يتشابهون في استقبال دعوتهم ، ومظاهر الصراع بين الخير والشر والحق والباطل ، وبيان قدرة الله تعالى .. وغيرها من الأهداف التي يطول استقصاؤها .

المبحث الثاني : عناصر القصة في السورة ، وقد تناول الباحث هذه العناصر بأسلوب أدبي ، وأهم هذه العناصر هي :

1) الحدث
2) الشخصيات (الأساسية ، الثانوية)
3) الحوار .
4) الصراع .
5) التشويق في العرض .
6) المناجاة في القصة .

7) الخوارق والمعجزات .

المبحث الثالث : مشاهد القصة في السورة :

1) المشاهد في قصة موسى عليه السلام .

2) المشاهد في قصة آدم عليه السلام .

الفصل الخامس : الدروس والمفاهيم المستفادة من السورة .

لقد رأى الباحث بعد الدراسة الفنية والأدبية للسورة أنه لزاماً عليه أن يذكر ما ترجح لديه من دروس مستفادة ، ومفاهيم مستنبطة ، علّ الله أن ينفع بها ، وقد جاء هذا الفصل في مبحثين هما :

المبحث الأول : الدروس المستفادة .

المبحث الثاني : المفاهيم الدعوية المستنبطة .

الخاتمة

بعد البحث والدراسة في رحاب هذه السورة يمكن للباحث استخلاص أهم النتائج التي أظهرتها هذه الرسالة ، ومن ذلك :

1) نشأ التصوير الفني بنشوء الأدب العربي ، فقد استخدم الشعراء الجاهليون التصوير في أشعارهم لكنهم لم يجعلوه قاعدة عامة للتعبير ، وكذلك الحالة لدى شعراء صدر الإسلام ، إلى أن جاء الجاحظ وطرح فكرة التصوير ، وبدأت الفكرة تنمو وتتطور لدى النقاد القدماء ، ثم جاء في العصر الحديث الشهيد / سيد قطب ــ رحمه الله ــ وجلىَّ هذه الفكرة.

2) يعبر التصوير الفني في القرآن الكريم عن المعاني الذهنية، والحالة النفسية والمعنوية ، وعن الحوادث الواقعة والأمثال المضروبة ، والقصص المروية ، والنماذج الإنسانية ، والصور الحسية المتخيلة .

3) إن التصوير الفني في القرآن الكريم ــ عموماً ــ وفي سورة طه على وجه الخصوص ، يتمثل في جلاء ووضوح .. الروح الأصلية في القرآن الكريم ، وأنه تمثل في التناسق الفني في مفرداته وتراكيبه ونظمه وموسيقاه وصوره ، وفي وسائله وأسلوبه وجزالة ألفاظه وسهولتها ... وصاحب الذوق السليم والفطرة الأصيلة هو الذي يدرك سر القرآن الكريم وسحر بيانه .. فتسري في أوصاله ودمائه حب هذا الكلام الرائع .

4) إن الصور الفنية التي تميزت بها سورة طه وجمال تناسقها والوسائل التي توفرت فيها جعلت لها طابعاً خاصاً معجزاً في ألفاظها وعباراتها ونظمها .. كل هذا يؤدي إلى نتيجة واحدة هي : أن هذا الكتاب المجيد صيغ من لدن حكيم حميد ، بصورة يعجز عنها البشر .

5) تميزت سورة طه بجوها العام الآمن المطمئن الهادئ المسترسل ، وموسيقاها الرخية الشجية الندية المتماوجة التي تضفي على النفس الهدأة والطمأنينة .

6) اتسمت السورة بتناسقها الفني الرائع .. في آياتها ومقاطعها وفي موسيقاها وفي مقابلاتها الدقيقة بين الصور الفنية .. وبمفرداتها التي تتسم

بجمال الشكل والمضمون، فجمعت بين قوة تأثير التصوير وبين عذوبة الصوت الناجم عن الإيقاع الموسيقي .

7) اشتمل التصوير الفني في سورة طه على وسائل عدة مثل : التصوير بالوصف والحركة والموسيقى واللون وأهمها التصوير بالقصة ، ذلك الأدب الرفيع الذي مثل بعناصره ومشاهده ذروة الإبداع وقمة الإعجاز

8) توضح لنا القصة في السورة عن أن القصص القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة أحداثه ، وشخصياته وحواره .. مثل القصص الفني الحر ، وذلك لان أسلوب القصة القرآنية أسلوب دعوة ووسيلة من وسائل التبليغ .

9) بينت القصة في سورة طه بعناصرها ومشاهدها التي مثلت ذروة الإبداع وقمة الإعجاز ــ سبق القرآن الكريم إلى سائر ما يتغنى به الأدباء والنقاد المحدثون .

10) تحتوي سورة طه كغيرها من سور القرآن الكريم على مفاهيم دعوية وتربوية عظيمة ، يجب الوقوف عليها والاستفادة منها .

والله الموفق ،،،

آيات الأحكام في العبادات وأثر العوامل اللغوية في تفسيرها

(دراسة تطبيقية في باب : الطهارة والصلاة والزكاة والصوم)

رسالة تقدم بها الطالب / سعيد عمر عبود بن دحباج)
إلى كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – أم درمان
لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن
بإشراف : أ.د/ حسب الرسول العباس محمد
وقد نوقشت الرسالة في 1424/1/15هـ وأجيزت بدرجة "امتياز"

* التحرير

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله، وصحبه إلى يوم الدين وبعد :

فإن القرآن الكريم مازال وسيظل –بإذن الله تعالى– هداية المسترشدين ومنار الحائرين والكتاب الهادي إلى صراط الله رب العالمين.

ولما للقرآن الكريم من مكانة عالية لا تخفى على أحد فإن جهود العلماء والدارسين توجهت منذ القدم لخدمة هذا الكتاب تفسيراً لمعانيه، واستنباطاً لأحكامه وحكمه، واغترافاً من بحر أسراره ومعارفه.

وقد آثرت أن تكون رسالته لإكمال مرحلة الماجستير متعلقة بالقرآن الكريم ، حيث وقع اختياره على العنوان التالي:

(آيات الأحكام في العبادات وأثر العوامل اللغوية في تفسيرها)

(دراسة تطبيقية في باب : الطهارة والصلاة والزكاة والصوم)

وقد شملت الدراسة على مقدمة وخمسة فصول :

أما المقدمة فقد فتوجنت لبيان أهداف الدراسة والأسباب الداعية لها :

وكان من أهم الأسباب الداعية لذلك ما يعتقده الباحث من الحاجة الماسة لإفراد دراسة عن أثر العوامل اللغوية على تفسير القرآن الكريم، والاعتماد على منهجية الاستقراء والتطبيق المباشر على آيات الكتاب العزيز، وبين المعاني والدلالات التفسيرية للآيات، مع الإعراض عن كل ما يشذ عن التفسير بهذا المعنى، من إشارات واستنباطات متكلفة أو موغلة في البعد عن التفسير.

وترجع أهمية الموضوع إلى أن الله سبحانه أنزل كتابه العزيز بلسان عربي مبين على نبيه العربي الكريم – صلى الله عليه وسلم – قال الله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)، وبما أن اللغة العربية هي الوعاء اللغوي واللساني للقرآن الكريم، كان من الأهمية بمكان أن يتناول هذا البحث المحددات والضوابط للتكييف اللغوي في تفسير آيات الكتاب العزيز.

وبما أن الآيات المحددة مجالاً للبحث هي من قبيل آيات الأحكام القرآنية، فإن الدراسة تعطي صورة جلية للاختلاف وفق المنظور والرؤية اللغوية بين أهل العلم في استنباط الأحكام الفقهية من آيات الكتاب العزيز.

وهذا يعني أن الدراسة سوف تتركز على التحليل والاستقراء لأقوالهم المنبثقة من النظر اللغوي المجرد، مع استبعاد طرق تفسير تلك الآيات المحددة مجالاً للبحث من جهة التفسير بالأثر سواء من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، أو بالحديث، أو بأقوال الصحابة والتابعين، ما عدا تلك الأقوال ذات الصلة بالدراسة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن البحث بمحصلاته يبرز روح التسامح بين أهل العلم في فهم وتفسير آيات القرآن الكريم، وهذا بدوره يعكس نفسه على التصور العام للعقلية المسلمة المعاصرة حيث يقال : بما أنه يستساغ خلاف المفسرين والعلماء في فهم كتاب الله فإنه من باب أولى أن يستشعر المسلم روح التسامح وفقه الخلاف فيما دون ذلك.

والبحث يكتسب أهميته قبل هذا وذاك من تعلقه ابتداء بخير كلام أنزل على خير نبي أرسل.

وأما الفصل الأول من الدراسة فكان فصلاً تمهيدياً بين يدي الدراسة، فقد أفرد للتعريف بأهم مصطلحات البحث وعلى أساسه ينبني الحديث في بقية الفصول، حيث يمكن اعتباره منطلقاً للتكييف اللغوي لآيات الأحكام التي ستكون مجالاً للبحث، إذ أنه يوضح ابتداء العلاقة البدهية بين القرآن الكريم واللغة العربية، وضرورة العلم بها لفهمه على وجهه، مع بيان الأوجه أو العوامل التي تظهر جلية في تفسير القرآن عموماً، وآيات الأحكام بشكل خاص من الناحية اللغوية.

وقد أشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العربية لغة الإسلام والقرآن.

المبحث الثاني : آيات الأحكام أحد المحاور الكلية للقرآن الكريم.

المبحث الثالث : العوامل اللغوية المؤثرة في تفسير آيات الأحكام.

الفصل الثاني عقد الفصل لتفسير آيات الطهارة، وبيان أثر العوامل اللغوية في ذلك، ويعتبر هذا الفصل هو الفصل الأول من فصول البحث التي سوف تكون مجالاً للتطبيق المباشر لأثر العوامل الآنفة الذكر على تفسير الآيات الموضوعة مجالاً للبحث، وطريقة البحث في الفصول التي تتبعه على نفس المنوال حيث تم تناول الباحث آيات كل فصل منها بنفس المنهجية، وقد أشتمل على ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : تفسير آيات أحكام الوضوء.

المبحث الثاني : تفسير آيات أحكام الجنابة.

المبحث الثالث : تفسير آيات أحكام التيمم.

الفصل الثالث : تفسير آيات أحكام الصلاة وفيه أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : تفسير آيات أحكام القبلة.

المبحث الثاني : تفسير آيات أحكام مواقيت الصلاة.

المبحث الثالث : تفسير آيات أحكام الصلاة وأركانها الفعلية والقولية.

المبحث الرابع : تفسير آيات أحكام صلاة السفر والخوف.

الفصل الرابع : تفسير آيات أحكام الزكاة وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول : دلالة آيات القرآن على فرضية الزكاة.

المبحث الثاني : تفسير آيات مصارف الزكاة.

المبحث الثالث : دلالة آيات القرآن على الأموال التي تجب فيها الزكاة.

الفصل الخامس : تفسير آيات أحكام الصوم : وفيه أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : دلالة الآيات على فرضية الصوم.

المبحث الثاني : عدة أيام الصوم وأعذار الفطر الشرعية وما يجب على من أفطر.

المبحث الثالث : فرضية صوم شهر رمضان وشرط وجوب صومه.

المبحث الرابع : تعيين وقت الصوم من اليوم والليلة وأحكام المفطرات والاعتكاف.

الخاتمة : نتائج البحث وتوصياته.

في ختام البحث سجل الباحث النتائج التي توصل إليها والجديرة بالذكر كخلاصة جامعة لمادة البحث، ومن ثم أتبعها بأهم التوصيات، وقد لا يكون أحصاها جميعها فحسبه الإشارة إلى أخواتها المماثلة لها في المرتبة وكان من ضمن تلك النتائج :

1) أن العلم باللغة العربية وفقهها شرط لا بد منه في الإفادة من القرآن الكريم عموماً ، واستنباط الشرائع والأحكام على وجه الخصوص .
2) أن طبيعة اللغة العربية من حيث ألفاظها وتركيبها وأساليبها، والتي اتصفت بالسعة، والتنوع، والكثرة، وظاهرة احتمال اللفظ أو الأسلوب لأكثر من معنى، عكس نفسه على طبيعة التعامل والاستنباط للمعاني والأحكام من آيات الكتاب العزيز.
3) أن سياق الحديث في الآية أو الآيات موجه أصيل وركن أساس في التفسير والاستدلال بآيات الكتاب العزيز.
4) هنالك ضوابط أشبه ما تكون بالقواعد اللغوية المنطقية، ينبغي دراستها واعتمادها واستحضارها عند تفسير آيات القرآن الكريم، ومن تلك الضوابط أو القواعد على سبيل المثال :

أ) أن القرآن الكريم في ألفاظه، ومعانيه، وأساليبه، عربي بحيث إذا حقق هذا التحقيق، سلك به في الاستنباط منه، والاستدلال به

مسلك كلام العرب في تقرير معانيها، ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة.

ب) إذا احتمل اللفظ أو الأسلوب تفسيراً على معنى مجازي أو حقيقي فإنه يقدم التفسير بالمعنى الحقيقي لأنه الأصل في الكلام.

ج) أن أي غاية حُدّت بـ "إلى" قد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحد وخروجها منها وإذا احتمل الكلام ذلك لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه إلا لمن لا يجوز خلافه.

د) أن الحدُّ إذا كان من جنس المحدود دخلت الغاية فيه، أي الشيء الذي يدل عليه حرف "إلى"، وإذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه.

ه) أن الأدوات – في اللغة العربية – موضوعة لإفادة المعاني، فمتى أمكن استعمالها على فوائد مضمنة بها؛ وجب استعمالها على ذلك.

و) أن تعدد الأقوال ذات الاستدلال اللغوي في التفسير، تؤكد حقيقة القابلية في شرعة الإسلام ومنهج الله– متمثلة في القرآن مصدر الشريعة الأول – للخلاف في وجهات النظر، وتعدد الآراء، مادامت منضبطة بالأصول العامة والمقاصد الكلية للدين.

5) العوامل اللغوية في تفسيرها، يعتبر عودة بتلك الآيات إلى الجو والمضامين والقيم الأدبية والمعنوية التي نزلت فيها تلك الآيات، وهذا بدوره يعكس نفسه على مدى التأثر بالخطاب القرآني.

ومن بين التوصيات التي رأى الباحث أهمية الإشارة إليها، علها تكون سبيلاً ومنطلقاً لدراسات أخرى في المضمار نفسه ما يلي:

1) ظهر من خلال البحث أن هنالك ضوابط لغوية، قد أشار لها المفسرون في ثنايا تفاسيرهم، تصلح عمدة وأسساً في تفسير وتحليل ودراسة آيات الكتاب الكريم، ينبغي أن تتوجه لها جهود الدارسين بالحصر والبيان والدراسة.
2) يرى الباحث أهمية وجود دراسات تعني بالضوابط المشار إليها آنفاً من جهة أخرى غير البيان والحصر، وهي التحليل العلمي لظاهرة اختلاف المفسرين في الاستدلال بتلك الضوابط والقواعد، والترجيح فيما بينها، ومثال ذلك الاختلاف القائم حول جواز حمل المشترك على معانيه كلها من عدم جواز ذلك.
3) الناظر في كتب التفسير يجدها مليئة بالأقوال المتعددة في أكثر المواضع من آيات القرآن الكريم، ويرى الباحث أن الالتفات لدراسة أسس الترجيح بين الأقوال في ضوء الضوابط اللغوية المشار إليها أنفا أمر جدير بالأهمية.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم
أن هذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن
لهم أجراً كبيرا